60

نوافل المقربين

بمصاحبة

فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

كتاب رقم: ٦٠

نَوَافِلُ المُقَرَّبِين

فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

المقدمة (١)

الكتاب	نوافل المقربين
المؤلف	الأستاذ فوزى محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	٧ شعبان ١٤٣١هـ، ١٧ يوليو ٢٠١٠م
الصفحات	١١٢ صفحة
المقاس	١٥ سم * ٢١ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون
طبع داخلى	كوشيه لميع ٢٥٠ جرام
طباعة غلاف	٤ لون، سلوفان لميع
تحت إشراف	دار الإيمان والحياة- ١١٤ ش ١٠٥ المعادى، القاهرة، ج م ع، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠
طبع	دار نوبار للطباعة
إيداع محلى	٢٠١٠/١٤٩٤٧
ترقيم دولى	ISBN: .977-17-9264-4

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فتح أبواب ولايته لخيار أحبته، فاجتباهم وأقامهم فى خدمته، وحبّب إليهم طاعته ...

والصلاة والسلام على فاتح أبواب القرب، وميسِّر سبل الوصول سيدنا محمد أصل الأصول، والبُغْية العظمى لكل عبد موصول، وآله وصحبه وكل من تابعه على هذا الهدي وفاز بالوصول ...آمين يا رب العالمين .... وبعد ...

اقتصر كثير من المؤمنين فى تقربهم إلى ربهم بعد أداء الفرائض على نوافل العبادات ... كقيام الليل بالصلاة، .... وصلاة الضحى، ... وتلاوة القرآن، .... والأذكار الواردة، .... وصيام الأيام الفاضلة، وتكرار الحج والعمرة ....

وظنُّوا أنها وحدها تبلِّغهم أرفع الدرجات، وأعلى المقامات !! .. وهذا حقٌ ... ولكن !..

هذا لمن سلكوا طريق الزاهدين، وساروا على منهج العابدين، وهذا سبيلٌ قويمٌ يحضّ عليه الدين، ويحثُّ عليه إمام الأنبياء والمرسلين ... ولكنه .. ليس بالسبيل الأقوم! ولا بالطريق الأكمل !.

وإنما المنهاج الأكمل، والطريق الأقوم ما كان عليه محمدٌ رسول الله والذين معه ... الذين قاموا بالنوافل العبادية تقرباً إلى حضرة الله؛ وإكمالاً

للفرائض التى أوجبها عليهم الله، ولكنهم قاموا إلى جانب ذلك:

.....بالتقرّب إلى الله فى خلق الله .....:

كيف؟ ... بالقيام بالحقوق التى أوجبها عليهم الله نحو الخلق ... أفرادا ومجتمعات طلباً لمرضاة الله، ولكمال التشبه والتأسي برسول الله وحبيب الله ومصطفاه ﷺ .

وقد وسَّع رسول الله ﷺ هذا الباب لسالكيه ... حتى جعل كل عمل للعبد سواء لنفسه أو لأهله أو لمن حوله ... صدقة .... إذا سبقه أو صحبه أو ألحقه بنيَّة صالحة لله ﷻ ولنوضح قليلاً:

جعل ﷺ أي قول للمرء يريد به الحق صدقة فقال :

{ مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَوْلِ الْحَق } [1]

وجعل ﷺ أفضل الصدقة .. القول الذي ينفع الله به مسلماً، أو يفرج عنه به ضيقاً وذلك فى قوله ﷺ:

{ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ اللِّسَانُ، فقيل: يا رسول الله، وما صدقة اللسان؟ قال: الشَّفَاعَةُ يَفُكُّ بِهَا الأسِيْرُ، وَيَحْقِنُ بِهَا الدَّمُ، وَتُجْرُّ بِهَا المَعْرُوفَ وَالإحْسَانَ إِلَى أَخِيكَ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ الكَرِيْهَةَ } [2]

ولم يقصر ﷺ الخير والصدقة على الفعل فقط، بل من رحمته وشفقته

---

١ أخرجه البيهقي عن أبى هريرة
٢ أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان والطبراني فى الكبير

ﷺ جعل ترك النطق بالسوء وتجنّب فعل الشر صدقة، فقال ﷺ:

{ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ حِفْظُ اللسَانِ }[٣]

وقال ﷺ فى بيان شافٍ بإسلوب تفهيمى وشرح متدرج يأخذ بالمسلم نحو الفهم الواعى والمستنير للمعنى المتكامل للصدقة فى الإسلام:

{ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقةٌ، فقالوا: يا نبيَّ الله فمَن لم يَجِدْ؟ قال: يَعملُ بيدِهِ فينفَعُ نفسَهُ ويتصدَّقُ، قالوا: فإن لم يَجِدْ؟ قال: يُعِينُ ذا الحاجة الملَهوفَ، قالوا: فإن لم يَجِدْ؟ قال فَلْيَعملْ بالمعروفِ، وليمْسِكْ عن الشرِّ، فإنَّها لَهُ صدقة } ٤

وهكذا نجد رسول الله ﷺ وسَّع سبيل القربات، وكثَّر أبواب النوافل والخيرات ... لماذا؟

مراعاة منه ﷺ لإصلاح المجتمعات وصلاح الجماعات فهى أسُّ جميع الخيرات، حتى جعل كل ما يوطّد العلاقات بين الأفراد عبادة يُتَقَربُ بها إلى الله ولو كان بذل السلام! قال ﷺ:

{ يُصْبِحُ على كُلِّ سُلاَمَى مِنَ ابنِ آدَمَ صَدَقَةٌ، تَسْلِيمُهُ على مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ } ٥

---

٣ أخرجه الديلمي عن معاذ بن جبل

٤ الشيخان عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن جده

٥ رواه أبو داود عن أبى ذر

وجعل أى عون لأى مسلم بأى كيفية عبادة توازى الصدقة فى الأجر والثواب فقال ﷺ:

{ وعوْنُ الرَّجُلِ أخَاهُ على الشَّيءِ صدقةٌ }[٦]

بل جعل كل ما يتعارف عليه الناس فى أى زمان ومكان وطالما أنه يتوافق مع تعاليم الإسلام؛ جعله ﷺ صدقة لمن يقوم به،. اسمعوا للحديث:

{ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقة }[٧]

هذه العبادة الخاصة التى أرسى قواعدها إمام الرسل والأنبياء.

وهى والتى حرص عليها أصحابه الكرام ... وخاصة أبوبكر وعمر رضى الله عنهما ...

بل وهى التى سارع فيها العلماء العاملون والصالحون فى كل زمان ومكان إلى يومنا هذا ... إلى يوم الدين إنشاء الله ..

وهى "نوافل المقربين" التى قمنا بتوضيحها فى كتابنا هذا ، وذكرنا بتوفيق الله أبوابها، مع ذكر نماذج للسلف الصالح فى القيام بها والمحافظة عليها ....

علَّ الله ﷻ يمنُّ علينا فى هذه الصحوة الإيمانية المباركة بتطبيق هذه العبادات والنوافل المباركات لإصلاح أحوال المجتمعات الإسلامية كما قال الإمام مالك ﷺ فيما ورد عنه واشتهر وذاع :

---

٦ أخرجه الطبراني عن ابن عباس
٧ أخرجه البخارى عن جابر ومسلم عن حذيفة

{ لا يصْلُح آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها }[٨]

والله ﷻ أسأله ﷺ أن يمن علينا بفضله وتوفيقه فيُظْهِرُ بنا وفينا قوله ﷻ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخميس ٦ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ، ٢٠ مايو ٢٠١٠م.

✉: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
☎: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
🖷: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
WWW.fawzyabuzeid.com :
fawzy@fawzyabuzeid.com :
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

٨ عن مالك ﷺ فى مجموع فتاوى ابن تيمية والتمهيدوأضواء البيان للشنقيطى، وفى إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وبها زيادة :{ ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك }.

حديث شريف: قالَ الصادقُ المصدوقُ ﷺ:

{ تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ
لَكَ صَدَقَةٌ.
وَأَمْرُكَ بِالمَعْروفِ ونهيُكَ عن المُنْكَرِ
صَدَقَةٌ.
وإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ في أَرْضِ الضَّلَالِ
لَكَ صَدَقَةٌ.
وبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ
لَكَ صَدَقَةٌ.
وإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ والشَّوْكَ والعَظْمَ عن
الطَّرِيقِ
لَكَ صَدَقَةٌ.
وإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ في دَلْوِ أَخِيكَ
لَكَ صَدَقَةٌ } [٩].

٩ سنن الترمذي عن عن أَبِي ذَرّ، قال أبو عِيسَى: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ،، قال : وفي البابِ عن ابنِ مَسْعُودٍ وجَابِرٍ وحُذَيْفَةَ وعَائِشَةَ وأَبي هُرَيْرَةَ.

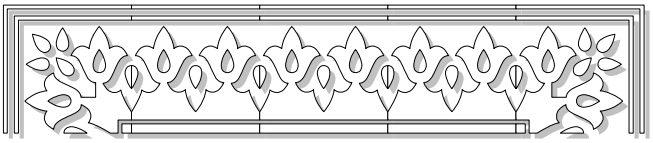

الفصل الأول

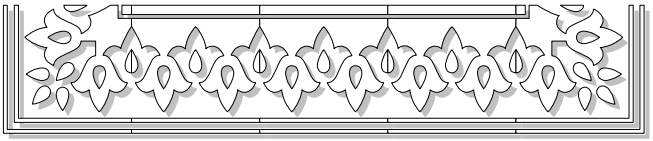

عبادة المقربين[١٠]

- فى نور الحديث الشريف:

{ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقة } .

- فقه العبادات

١٠ مسجد النور، بالمعادى بالقاهرة ، الجمعة ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣١هـ، ٧ مايو ٢٠١٠م.

• فى نور الحديث الشريف:

{ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقة } .

إخوانى القراء الكرام ... وأخواتى الكريمات ...

بارك الله ﷻ فيكم أجمعين، ورزقنى وإياكم النور الكاشف الذى يُكشَفُ لنا به عن أسرار كلام سيد النبيين وخاتم المرسلين.

قال حبيبى وقرَّة عينى وإنشراح صدرى ﷺ فى الحديث الجامع المانع الذى يتكون من ثلاث كلمات فقط قدرها فوق موازين الجبال :

{ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقة } [١١]

أيها الأخوة .... تعالوْ معى ننظر إلى حكمة هذا النبى الأُمى الذى جعله مولاه ﷻ معجزة للعلماء والمتعلمين من بدء الدنيا إلى يوم الدين؛ تلا ﷺ على أصحابه – وهو يعلم مقدار شغفهم بحب الله ومبلغ تعلقهم بالقرب من حضرة الله – خطاب الله ﷻ فى الحديث القدسى الذى يبين فيه الله الطريق المستقيم السوى لكل تقى يريد أن ينال محبة الله جلَّ فى علاه، هذا الخطاب يقول فيه الله لأولى الألباب:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ

[١١] أخرجه البخارى عن جابر ومسلم عن حذيفة

سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ} [١٢]

سمع الأصحاب هذا الخطاب – وهم كما ذكرت يريدون أن ينالوا محبة العلىّ الوهاب – فسارعوا فى نوافل العبادات، منهم من سارع فى قيام الليل، ومنهم من ابتدر صيام الأيام المتتالية من النهار، ومنهم من واصل تلاوة القرآن ليل نهار حتى كان بعضهم يختمه فى ثلاث وبعضهم يختمه فى كل يوم وليلة مرة، وبعضهم سارع فى الأذكار ...

فنظر النبى ﷺ بعين بصيرته النورانية الربانية ورأى أن عملهم هذا دعوة إلى الرهبانية !! وليست هذه هى الدعوة الإسلامية فى حقيقتها، فلفت أنظارهم ووجَّه أبصارهم وقال لهم فيما روته كتب السنة:

{ لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُل يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ

١٢ رواه البخارى عن أبى هريرة.

بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَتَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ صَدَقَةٌ، وَهَدْيُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّالَّةِ صَدَقَةٌ} [١٣]

فعدَّد أبواب العبادات للمؤمنين، بل جعل كل أعمال المؤمنين إن كان لأنفسهم أو كان لغيرهم إذا سبقتها نيَّة طيِّبة لله فهى عبادة يتقرب بها المرء إلى مولاه ﷻ .... حتى من خرج فى كل صباح يسعى ليُحصِّل قوته وقوت أولاده، يقول فيه صلوات ربى وتسليماته عليه:

{ أَيُّمَا رَجُلٍ كَسَبَ مالاً مِن حلالٍ، فأَطْعَمَ نفسَهُ، أو كَسَاهَا، فمَنْ دونَه مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فإنَّ لَهُ بها زكاةً } ١٤.

وقال فى حديث آخر:

{ إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ } ١٥

فنفقته على نفسه صدقة، وكذا على أهله وهى واجبة عليه لا مفر! ولكنه إذا إحتسبها عند الله وأداها بنفس طيبة .. كانت صدقة!

إذا رفع الأذى من طريق المسلمين فتلكمُ عبادة ...

وإذا أرشد ضالاً ولو إلى أين الطريق ..، أى لو كان يريد أن يصل إلى

---

١٣ عن أبى ذر ، رواه الإمام البيهقى ،كما رواه أحمد وابن حبان والبيهقى أيضا مختصرا حتى"نفسك".
١٤ رواه أبو يعلى وابن حبان والحاكم فى المستدرك
١٥ رواه البخارى ومسلم عن أبن مسعود

عنوان ولا يعلم الشارع الموصِّل إليه فأرشده فهذا له عبادة !!!

وإذا قاد أعمى ... واسمع للأجر ..!!!! يقول فيه ﷺ:

{ مَن قادَ أعمىً أربعينَ خَطوةً وَجَبَتْ لَهُ الجنَّةُ }١٦

بل أوجب على المسلم أن يتعلَّم اللغات وتكون له عبادات فقال:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُؤْجَرُ فِي هِدَايَتِهِ السَّبِيلَ، وَفِي تَعْبِيرِهِ بِلِسَانِهِ عَنِ الأَعْجَمِي } ١٧

من ترجم الكلام من العربية – والعكس– لأى لغة أعجمية (أى أجنبية بلغتنا اليوم) كانت هذه الترجمة له صدقة! .. فما بالك لو علَّمه العربية لغة كتاب الله جلَّ فى علاه !! بل زاد النبى ﷺ فى الأُلفة بين المسلمين ... فجعل حركاتك وكلماتك لإخوانك المسلمين عبادة، وكلما نظرت فى وجه مؤمن فتبسمت فى وجهه ... :

{ تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }١٨

وإذا لم تتبسم فلا تكشِّر فى وجهه أو تعبس عند لقائة، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيُقَطبُ فِي وَجْهِ أَخِيهِ فَتَلْعَنُهُ الْمَلاَئِكَةُ } ١٩

فإذا كلمته بكلمة طيبة عندما تلقاه أو تراه .. فانظر للأجر:

---

١٦ رواه الطبرانى فى الكبير وأبويعلى عم ابن عمر.
١٧ أخرجه الطبرانى في الأوسط
١٨ رواه الترمذي عن أبي ذر.
١٩ الخطيب في المتفق والمفترق عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }[٢٠]

فإذا زدت قليلاً ومدَّدت يدك لتصافحه، يقول ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ اخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبَهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ الوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِيْ يَوْمِ رِيْحٍ عَاصِفٍ وَإِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوْبَهُمَا مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ }[٢١]

فجعل أعظم العبادات! وأكبر النوافل التى يتقرب بها العبد إلى رب البريات! ..... هى النوافل التى تتعلق بعباد الله المسلمين .....

وأرجو أن تدققوا الفهم هنا... !!! ... ليست نوافل العبادات !!!

ولكنها النوافل التى تنفع المؤمنين والمؤمنات !!! النوافل التى تصلح المجتمعات!!! النوافل التى تيسر الأمور للفقراء والمساكين والبائسين !!! هل اتضح الأمر ؟؟؟ مَن الذى يريد أن يكون مع رسول الله فى الجنة فى منزلته ودرجته؟ وما العمل الموصل إلى ذلك؟ نسمعه ﷺ .. ونصلى عليه وهو يقول لنا فى ذلك:

{ السَّاعي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ كالمُجَاهِدِ في سَبِيلِ الله، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، ويكون معي في الجنة }[٢٢]

أرأيتم هذه العبادة!!

---

٢٠ رواه أحمد وابن حبان عن أبى هريرة.
٢١ رواه الطبرانى عن سلمان.
٢٢ صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة.

من يسعى على أرملة .. أو مسكين ... تكون أيامه كلها مكتوبة عند الله صياماً .. ولياليه كلها عند الله محتسبة قياماً ... ياألله!!! .. بل ونهاره وليله كالمجاهد فى سبيل الله على الدوام ... هل هذا فقط ؟ لا بل ثم فى الآخرة يُرزق برفقة وصحبة النبى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فى الجنة ... ماذا نريد بعد!!! ... بل ويؤكد ﷺ هذا المعنى مرة أخرى للنساء ... لمن تقف نفسها على أولادها فيقول:

{ أنا وامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ كهاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٢٣]

وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى – أى لا تضع زينة على وجهها – امرأة تأيمت على أولادها .. ولم تتزوج لتربى أولادها ... فهى مع الحبيب المحبوب ﷺ فى الجنة.، ويضرب لأصحابه مثالاً عملياً فى ذلك:

فقد كانوا سائرين للجهاد فى سبيل الله فى إحدى الغزوات، وكان بعض الجند صائمين وبعضهم مفطرين، وكان من هديهم وحسن أدبهم ألا يعيب الصائم على المفطر ولا يرى أنه خير منه بصيامه، ولا يعيب المفطر على الصائم ولا يرى أنه خير منه بعمله أوجهده ..... ولكنهم كانوا ينظر كل رجل منهم إلى أخيه على أنه أفضل منه.

وكان يوماً شديد الحرارة، ونزلوا بأرض ... وأمر النبى ﷺ بإقامة معسكر الجيش فى هذا المكان ..

فذهب الصائمون إلى ركن ركين بحجة أنهم صائمين ومرهقين .. وقعدوا! واستظلوا ... وقام المفطرون بدقِّ الأوتاد، ونصب الخيام، وطهى

٢٣ مسند الإمام أحمد عن عوف بن مالك.

الطعام، واحضار الماء، وكل ما يحتاج إليه المعسكر من خدمات، فقال ﷺ:

{ ذَهبَ المُفْطِرونَ اليَوْمَ بالأَجْرِ }[٢٤]

لأنهم سعوا فى خدمة إخوانهم .. الَّذين سعوا فى خدمة أنفسهم! فالنوافل ... نوافل البر والقربات ... منها ما تكون للإنسان فى نفسه، وهى التى يقول الله عزَّ شأنه فيها:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الجاثية]

ومنها ما هو أغلى وأعلى .. وهى خير النوافل والقربات .. التى ترفع العبد عند مولاه؛ هى التى فيها نفعٌ للمسلمين، وفيها إصلاحٌ لأحوال المؤمنين، وفيها رفعةٌ لشأن المجتمعات الإسلامية وإصلاحٌ لشئونها، ولذلك قال ﷺ فيمن يسعى للصلح بين المسلمين:

{ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ }[٢٥]

الإصلاح بين المسلمين أعظم عند الله فى ميزان النوافل من قيام الليل ومن صيام النهار ... لماذا؟ .. لأن هذا العمل عملٌ يحتاجه مجتمع أهل الإيمان ... مجتمع الذين يقول فيهم النبى العدنان ﷺ .....:

٢٤ عن أنس بن مالك، صحيح بن حبان وصحيح مسلم وغيرها.
٢٥ رواه أحمد والترمذي وأبى داوود عن أبى الدرداء.

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى } [٢٦]

وعن أبى هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ:

{ كُلُّ سَلامى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ الشَّمْسُ؛ قال: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةً، وتُعِينُ الرَّجُلَ عَلى دَابَّتِهِ تَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا صَدَقَة، وقال: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وقال: كُلُّ خطوةٍ يَمْشيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ } [٢٧]

أيها الأُخوة القراء الكرام ... لأن دين الإسلام دين حياة ...

فقد جعل الله ﷻ بفضله ومَنِّه وجوده وكرمه كل أعمال الإنسان إذا سبقها نيَّةٌ صالحةٌ لحضرة الرحمن طاعةً عظمى للديان ... طاعةً لا تساويها نوافل العبادات!! .... ولا الشكليات التى يتمسك بها من ينتسبون للدين والصلاح فى هذا الزمان!!

إن ديننا هو دين العمل الإجتماعى ... وهو دين التواصل بين المؤمنين ... ودين المودة والتعاطف بين الموحدين ... ، دين يُدخل الرجل الجنة بشهادة المؤمنين له ... كيف؟ ورد فى الحديث الشريف أنه :

---

٢٦ رواه البخارى عن النعمان بن بشير.
٢٧ رواه البخارى ومسلم

{ مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرَاً. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا. فَقَالَ: نَبِيُّ اللَّهِ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ،. قَالَ عُمَرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وأُمّي! مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ. ومُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقُلْتُ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَنْ أُثْنِيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأُرْضِ.. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأُرْضِ . أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأُرْضِ}[٢٨]

إذا شهدنا لرجل بخير دخل الجنة !!! ... فمَن الذى نشهد له يا رسول الله؟ ... قال:

{ إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإِيْمَانِ }[٢٩]

وفى رواية: { فاشهدوا له بالصلاح }.

وقوله "يعتاد المسجد" : أى يواظب على الصلاة بالمسجد، فإذا شهدنا له فإن الله ﷻ يوم العرض والحساب يُحضر ملفات أعماله، ... وقد تكون كلها أو بها قبائح لا تعدُّ ولا تحدُّ !!، فيُحضر الله ﷻ الشهود الذين شهدوا له بالإيمان ... ويُطلعهم على عمله وملفه ....، فيسألهم سبحانه وهو

٢٨ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صحيح البخارى ومسلم
٢٩ رواه الترمذي عن أبى سعيد.

أعلم بهم: لِمَ تشهدون لعبدى وهذا عمله؟ !!! ....

فيقولون كما جاء بالخبر: يارب أنت الذى علَّمتنا ذلك، فيقول ربُّ العزة وأين ذلك؟ فيقولون: قلت لنا فى القرآن (٨١يوسف):

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾

شهدنا لأننا رأيناه يدخل المسجد .. ولم تأمرنا أن ننقِّب عن القلوب! أو نفتِّش على الأحوال! أو نَطَّلع فى صحائف الأعمال ... لأن ذلك أمر خاص بالواحد المتعال ﷻ.

ولذلك حذَّر النبى من كل مَن يصف المسلم بوصف غير تقى، كأن يقول: أنت منافق، أو يا منافق، أو يقول عنه فى غيبته: إنه منافق، أو يقول له: أنت نصرانى أو أنت يهودى، أو كما استسهل الناس فى زماننا بقول "ياكافر أو هو كافر" سواء فى حضوره أو فى غيبته، قال فيه ﷺ:

{ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا؛ إِنْ كَانَ الَّذِي قِيلَ لَهُ كَافِراً فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْ قَالَ } [٣٠]

يصيب نفسه بهذا السب ! وهذا الشتم! وهذا اللعن! الذى خصَّ به أخاه !!! ... لأنه لا يطَّلع على القلوب إلا حضرة الله جلَّ فى علاه، ولا يليق بمسلم مهما كان شأنه ... أن يصف مؤمناً بالنفاق! أو يصف مؤمناً بغير ما وصفه به الله من الإسلام والإيمان !، وإنما الأمر كما علَّمنا النبى العدنان صلوات ربى وتسليماته عليه:

٣٠ (هـ) عن ابن عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهُمَا. جامع المسانيد والمراسيل.

{ إِنِي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ }[٣١]

لم يأمرنا أن نفتّش على السرائر أو ننقّب فى الضمائر، وإنما أمرنا أن نحكم على الناس بحسب الظاهر ونشهد لهم بحسب الظاهر، فإذا شهد المؤمنون لرجل بالإيمان وجبت له الجنة، بل إنه ﷺ قال فى الحديث الآخر والذى يفتح باب عموم فعل الخير على مصراعيه:

{ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ، وَاللّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ شَرًّا، وَيَقُولُ النَّاسُ خَيْراً، قالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادَي عَلى عَبْدِي وَغَفَرْتُ لَهُ عِلْمِي فِيهِ }[٣٢].

فيدخل العبد الجنة بشهادة المؤمنين والمؤمنات أو الناس أو جيرانه كما ورد فى الأحاديث الصحيحة ... ولذا أمر الله ﷻ المؤمنين أن يتعارفوا وأن يتآلفوا وأن يتكاتفوا وأن تكون بينهم صلات وقربات على كتاب الله وعلى سُنة رسول الله وعلى منهج أصحاب رسول الله أجمعين، وها نحن نصلى فى مساجدنا ببلادنا .. لكن جُلُّنا أو معظمنا لا يعرف الآخر! لماذا!؟؟ لماذا ياإخوانى؟ مع أننا أخوة فى الإيمان؟! وقد قال ﷺ:

{ إِذَا آخَا الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْم أَبِيه وَمِمَّنْ هُوَ؟ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ }[٣٣]

---

٣١ عن أبى سعيد أخرجه إبن جرير، جامع المسانيد والمراسيل
٣٢ عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ رواه البزار
٣٣ سنن الترمذي عن يزيد بن نعامة الضبِي

ما دمنا فى محلة واحدة ونجتمع فى بيت الله لابد أن ننفذ قول الله:

﴿ خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[الحجرات:١٣]

لابد أن نتعارف، قد يكون حجة البعض: لِمَ أتعارف وأنا عندى سكنى وعندى أموالى وعندى ما أحتاج إليه ولا أحتاج إلى أحد، إن لم تحتج إليه فى الدنيا فأنت فى أمَّس الحاجة إليه فى الدار الآخرة، ولو كان فقيراً مسكيناً تحتاج إلى شهادته لتدخل الجنة، ربما تحتاج إلى شفاعته! ولذلك قال الحبيب ﷺ فى صحيح سُنته:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوَانِ فَإِنَّ لِكُل مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٣٤]

ربما تحتاج إلى أخيك فى شفاعة يوم القيامة ... فإن للعالِم سبعين شفاعة يشفعها فى سبعين رجلاً كلهم قد استوجب النار، وللشهيد سبعون شفاعة يشهدها فى سبعين فرد كلهم استوجب النار، وكل مؤمن له شفاعة ... وكذا وكذا من أنواع الشفاعات والمكرمات ....

بل إن من إكرام الله ﷻ لنا جماعة المؤمنين أنه ربما أتعرف على رجل ذو وجاهة ومنزلة عند الله وأنا بعملى القاصر لا أبلغ منزلته ولكنى تعرفت عليه وتآخيت معه فى بيت الله، وكما نعلم كلنا أنه من ضمن السبعة الذين يُظلُّهم الله بظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: "رجلان تآخيا فى الله اجتمعا على الله وافترقا عليه" ... فعند القيامة .. وكما ورد بالخبر:

٣٤ ابن النجار فى تاريخه عن أنس.

{ قيل: إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له: ادخل الجنة، فيسأل عن منزل أخيه؛ فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله، فإن قيل له: لم يكن يعمل مثل عملك؛ فيقول: إني كنت أعمل لي وله، فيعطى جميع ما يسأل لأخيه، ويرفع أخوه إلى درجته } [٣٥]

وكنت أعمل لى وله: أى خذ عملى وأجرى واقسمه بينى وبينه، ولذلك قال صاحب الإحياء مؤكداً هذا المعنى ومحببا فى التآخى فى الله:

{ ويقالُ: إنَّ الأخوين في الله إذا كانَ أحدُهمَا أعلَى مَقَامَاً منَ الآخر رُفِعَ الآخرُ معهُ إلى مقامه وإنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين، والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة، قال ﷻ: أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شيءٍ }[٣٦] وفى الخبر:

{ ماتحَابَّ اثنَان فى الله إلا رَفَعَ اللهُ أقَلَّهُمَا مقَاماً إلى مَقَام صَاحِبِهِ وَ إنْ كَانَ دُونَهُ فى الْعَمَل }.

لأن أُخوة الإسلام هى الرابطة التى حرص عليها المصطفى عليه

٣٥ تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، الجزء: ١.
٣٦ إحياء علوم الدين، ج٢، والتحاق الذرية بالأبوين ثابت بالكتاب والسنة.

أفضل الصلاة وأتم السلام، وهى التى حلَّت مشاكل المسلمين عندما هاجر الفقراء المهاجرون إلى الأنصار أصحاب المدينة الأفضل حالاً أو الموثرين فحُلت مشاكلهم بالأُخوة بينهم بفعل سيد الأولين والآخرين،. ونحن كذلك لن تُحلَّ مشاكلنا إلا إذا تآخينا فيما بيننا ... وتواصلنا فى بيت ربنا ... وفى شوارعنا ... ومع جيراننا ... ومع سكان شوارعنا ... ووضعنا أيدينا فى أيدى بعض ...، وقد قال ﷺ:

{ لاَ يَزَالُ اللَّهُ فِي حَاجَةِ العَبْدِ مَا دَامَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ } [٣٧]

وأجاب ﷺ السائل له: أى الأعمال أفضل؟ فقال له فيما ورد:

{ إِدخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى مُؤْمِنٍ أَشْبَعْتَ جَوْعَتَهُ، أَوْ سَتَرْتَ عَوْرَتَهُ، أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حَاجَتَهُ } [٣٨]. كما روى عن حضرته ﷺ:

{ إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تعَالَى بَعْدَ الفَرَائِضِ؛ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى المُسْلِمِ } [٣٩].

● فقه العبادات

وهنا تنبيه يا إخوانى القراء الكرام :

ما أردت أن أثبّته فى نفوسكم الطيبة أن الكثير من محبى الصالحين

---

٣٧ رواه الطبرانى

٣٨ وعن عمر ﷺ مرفوعاً رواه الطبرانى

٣٩ وعن ابن عباس رضى الله عنهما رواه الطبرانى

وممن لديهم أشواق عالية إلى روضات القرب من ربِّ العالمين يظنون أن الوصول إلى تلك الروضات والمقامات بالنوافل العبادية فقط التى يُسرف فيها الإنسان أو يزيد فيها رغبة فى رضاء الله، أى أنه يقوم الليل ويصوم الدهر ويقبل على قراءة القرآن ليل نهار، ويظنُّ كثيرٌ أن هذا هو الطريق لولاية الله، أو أنه السبيل الموصل لفتح الله ... لا! هذا طريق العابدين! ، أما طريق العارفين فغير ذلك... !

وليس معنى ذلك أننا نقلِّل من قيمة النوافل العبادية .. لا، فنوافل العبادات لابد منها ... لكن إذا كان هناك ما هو أولى منها فنقدمه على هذه النوافل، أما إذا كان ليس عندى شئ يشغلنى فعلىَّ بالنوافل، على سبيل المثال:

- خُيِّرتُ هذه الليلة بين الصلح بين اثنين وبين قيام الليل راكعاً ساجداً لله، ما الأَوْلى؟ الصلح بين الإثنين، وإذا أصلحت بين اثنين فلا أجلس معهما متململاً ولا متضايقاً أو أن أشعرهم أنهم منعونى من قيام الليل ... أجرك فى الصلح بين الإثنين أعلى من قيام الليل!! أما إذا كان فى هذه الليلة ليس عندى عمل من أعمال البر للغير ... ولا عمل من أعمال الخير لنفسى ولا لأهلى كأن أذهب بابنى المريض للطبيب وغير ذلك ... فلابد أن أجعل لنفسى فى هذه الليلة قياماً لله.
- كذا لو استفتحت فى كتاب الله ثم سمعتهم ينبهون عن جار لك توفى، أيهما أولى أن تشيع الجنازة أم تتلو القرآن؟ تشيع الجنازة.
- أو سمعت أن جارك مريض، فأيهما أولى أن تعود المريض أم تقرأ

القرآن؟! أعود المريض.

- أو جار لى له مصلحة ... وأنا لى مقدرة على إنجازها له، فأيهما أولى قراءة القرآن أم قضاء مصلحة جارى؟ قضاء المصلحة أجره أكثر من أجر عبادة ستين سنة، قال ﷺ:

{ مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْراً مِنِ اعْتِكَافِ عِشْرِينَ سَنَةٍ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلاَثَةَ خَنَادِقَ، أَبْعَدُهَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ } [٤٠]

ومن الجائز أن يدعو لك دعوة صالحة تجعلك ترتفع فى المقامات أكثر من رفعتك بالعبادات ستة آلاف سنة أو أكثر أو أقل لأنك تعرضت لدعوة صالحة من رجل بائس فقير مسكين ذللت له أمره وسهلته له.

إذاً نحن لا نقلل من النوافل ولكن هناك أولويات، مصالح الأفراد ومصالح المجتمعات أفضل من العبادات النفلية إذا كنت مستطيعاً القيام بها رغبة فى وجه ربِّ البرية ﷻ.

أما إذا استطعت أن تجمع بين الإثنين .. فأنت من الرجال الكُمَّل، مثل ما كان يعمل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حيث يقول:

{ إذا نمتُ نهاراً ضيَّعتُ رعيَّتِى، وإذا نمتُ ليلاً ضيَّعت أمرى؛ فجعلتُ النهارَ لرعيَّتِى، وجعلتُ الليلَ لنفسى } [٤١]

٤٠ (طس ك هب) عن ابن عباس.
٤١ تاريخ دمشق لإبن عساكر.

ومثله ورد من خبر سعيد بن عامر ﷺ لما استعمله عمر بن الخطاب أميراً على حمص، ... فهؤلاء هم كُمَّل الرجال وهم قلة !!!، لكننا نتكلم فى مجالنا اليوم ، فتقاس الأمور بهذا المقياس... والفقيه هو الذى يزن الأمور بهذه الموازين!!

العبادة الأعلى والأرقى عند الله هى التى تتعلق بأحد من خلق الله، اسمع إلى سيدنا رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف المنيف الجامع، يقول:

{ مَنْ أَدْخَلَ على مُؤْمِنٍ سُروراً إمّا أَنْ أَطْعَمَهُ مِنْ جُوعٍ، وَإِمّا قَضَى عَنْهُ دَيْناً، وَإِمّا يُنَفِّسُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرَبَ الآخِرَةِ، وَمَنْ أَنْظَرَ مُوسَراً أَوْ تَجاوَزَ عَن مُعْسِرٍ أَظَلَّهُ الله يَوْمَ الْقِيامَةِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، وَمَنْ مَشى مَع أَخِيهِ في ناحِيَةِ الْقَرْيَةِ لتَثْبُتَ حاجَتُهُ ثَبَّتَ الله ﷻ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزولُ الأَقْدامِ، وَلأَنْ يَمْشِي أَحَدُكُمْ مَعَ أَخِيهِ في قَضاءِ حاجَتِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَعْتَكِفَ في مَسْجِدِي هذا شَهْرَيْنِ، وأشار بأصبعه: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشِرارِكُمْ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الّذِي يَنْزِلُ وَحْدَهُ وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ وَيَجْلِدُ عَبْدَهُ }[٤٢]

حتى نعرف الأمور التى مشى فيها الصالحون:

- فإدخال السرور على المؤمنين.

٤٢ المستدرك على الصحيحين ، رواه ابن عباس.

- وإنظار المعسرين.
- وقضاء حوائج المزمنين (المرضى طويلاً).
- والسعى معهم لدى أهل الجاه والتمكين.
- والشفاعة لدى المسؤلين. .. وغيرها وغيرها ....

كانت هذه عبادة الصالحين فى كل مكان وزمان أو حين!!! وهاكم أمثلة ..

سيدى أحمد الرفاعى ﷺ كانت عبادته مثل عبادة أبى بكر وعمر، اللذين كانا يجوبان طرقات المدينة يبحثان عن المساكين الذين لا عائل لهم ولا أنيس لهم ليقضيا لهم حوائجهم.

فكان سيدى أحمد الرفاعى كذلك حيث كان يبحث عن الزمنى وهم المرضى بأمراض مستعصية ليس لها شفاء، والذين تفرُّ الناس منهم فى هذه الأيام حتى أولادهم! حيث نسمع ونقرأ فى هذه الأيام عن آباء يموتون ولا يشعر بهم أحد حتى تفوح رائحتهم! لأن أبنائهم لا يسألون عنهم!! هل ذلك من الإسلام؟ لا !!

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلى ﷺ يكثر من التردِّد على الولاة والحكام للشفاعات للناس حتى قلَّت منزلته عند الحكام لكثرة تردِّده عليهم بسبب ذلك.

وفى عصرنا أيضاً كمثال كان الشيخ محمود أبو هاشم ﷺ وكان من الصالحين ... كانت عبادته الأساسية السفر من بلدته بنى عامر كلَّ يوم إلى

الزقازيق والتردِّد على الدواوين والمصالح الحكومية، لماذا؟ .. لقضاء مصالح الخلق والمحتاجين.

ولكننا – ولقصور فهمنا– ظننَّا أن الإسلام هو الصلاة ... وشهر رمضان ... والحج ... والعمرة ... ونسينا أن أساس الإسلام هو العلاقات الاجتماعية .. العلاقات الإجتماعية !!!!!! .. والغرب يا إخوانى يعرف ذلك ويعيه الآن جيداً .. ، فالغرب لا يحتاج اليوم إلى مال ولا إلى خيرات ولا شئ من هذا القبيل !! ولكنه يحتاج إلى العلاقات الإجتماعية الإسلامية تنتقل عنده !!!

لذلك أذكر أن الجالية الإسلامية فى فرنسا أقامت منذ سنوات احتفالاً كبيراً بالمسجد الكبير بباريس، وأثناء الإحتفال أتت امرأة فرنسية ومعها ابنها الصغير وطلبت منهم أن يلقِّنوه الإسلام، فسألوها: هل أنت مسلمة؟ قالت: لا، فقالوا: لِمَ تريدين أن نلقِّنه الإسلام؟ قالت: حتى يصنع معى ما يصنع أولاد المغاربة – معظم المسلمين فى فرنسا من المغرب العربى – بآبائهم وأمهاتهم عند الكبر!!! ولا يصنع معى ما يصنع أبناء الفرنسيين مع آبائهم وأمهاتهم عند الكبر !!!.

وفى المقابل يُصَدِّر الغرب لنا الآن فى هذه الأيام أشياء غريبة كدار المسنين، حيث يلقى الإبن أباه فى هذه الدار ! ويدفع له مصاريف إقامته! ولا يسأل عنه إلا قليلاً!

فالغرب يحتاج إلى العلاقات الإجتماعية الإسلامية، وخذوا مثالاً آخر من ألمانيا ... ألمانيا خصصت إذاعة من عشر سنين تدعو إلى إقامة

علاقات إجتماعية بين الأُسر الألمانية على الطريقة الإسلامية.

ولكن للأسف! .. بدأ المسلمون يحسبون هذه العلاقات حسبة مادية، فتجد الإنسان لا يعرف اسم جاره! ولا عمله! لأنه لا يحتاج إليه! فالحسبة أصبحت حسبة مادية!!!! للأسف! ... ولكنها يا إخوانى القرَّاء الكرام .. يجب أن تكون حسبة إسلامية، لا حسبة غربية ولا علمانية!!

والحسبة الإسلامية تعنى أن يكون بينك وبين المسلمين تواصلٌ .. وتوادٌ .. وتراحمٌ .. وتعاطفٌ فى كل المُلمَّات.

جعل الله ﷻ للمسلم حقَّاً على المسلم، وإذا لم يقم بهذا الحقِّ حاسبه عليه الله ﷻ يوم القيامة، كم تبلغ هذه الحقوق؟

حقوق كثيرة أوصلها الإمام أبو طالب المكى فى كتابه: (قوت القلوب) إلى حوالى أربعة عشر حقاً بحسب ما جمع من الأحاديث، فيذكر منها ... للمسلم على المسلم أن يُسلِّم عليه إذا لقيه، وأن يشمِّته إذا عطس، وأن يعوده إذا مرض، وأن يشيِّع جنازته إذا مات، وأن يهنِّأه إذا فرح، وأن يعزِّيه إذا حدث له مكروه، وأن يعينه إذا احتاج ....

حوالى أربعة عشر حقَّاً للمسلم على المسلم، هذه الحقوق لو قصَّر فيها المسلم يُسَائل من الله يوم القيامة ...

اسمعوا لله تعالى حيث ورد فى الحديث القدسى: قَالَ رَسُولُ اللّهِ :

{ إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ

أَنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذلِكَ عِنْدِي }[٤٣]

إذاً الذى يؤاخذ الإنسان هو الله على حقوق المسلمين ..

وهذا هو الأساس الأول فى دين الله ...

والذى وطَّد به وعليه سيدنا رسول الله العلاقات بين المؤمنين المهاجرين .. والأنصار .. وغيرهم

فكان نتاج ذلك ... كان المجتمع الذى يقول فيه الله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ثم بعد التوادد والتراحم بينهم تأتى ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [٢٩الفتح]

لكن قبل الركوع والسجود لابد من التوادد والتعاطف والتراحم

٤٣ صحيح مسلم عن أبى هريرة.

والبشاشة بين المسلمين والمسلمات، وهذا أساس صلاح المجتمعات.

لكن عندما جاءتنا فكرة أنه لا علاقات إلا بالمصالح .. جائتنا الأوضاع التى نهى عنها الإسلام !!!

ونحن اعتقدنا بجهلنا بتعاليم الإسلام أنها أوضاع صحيحة!! وتفشت فى مجتمعاتنا .. للأسف!!، فانتشرت الغلظة والقسوة والفظاظة فى المعاملة والأنانية والسرقة والنهب والقتل،... لماذا؟

لأن ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ لم تعد موجودة، ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ لن تأتى من الصلاة ولكنها تأتى من العلاقات الإجتماعية ....

لم تعد المحبَّة موجودة ...!!

لأنه لا توجد علاقات اجتماعية!

فهذا هو الأساس فى أعمال الصالحين فى كل زمان ومكان!!

ولذلك يجب ألا تعتقد أن الوصول إلى الله بالنوافل العبادية فقط لكن قبل ذلك التواصل مع كل أجزاء الأُمة المحمدية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

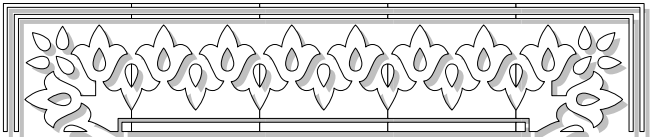

الفصل الثانى

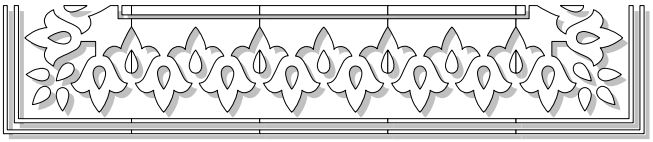

قربات المقربين[٤٤]

- مقامات المقربين
- العلم عبادة الأنبياء والمرسلين
- قضاء حوائج الناس
- الإصلاح بين المسلمين

٤٤ مسجد عباد الرحمن، المنيا،مغاغة، قرية بلهاسة، ٢٠١٠/٤/٧م ، ٢٢ ربيع ثان ١٤٣١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أتم علينا نعمته وأنزل علينا سكينته وحف جمعنا هذا برحمته وجعلنا فى الأرض موضع نظر ملائكة السماء يحفون بنا من كل الأرجاء وتمتد أجنحتهم من الأرض إلى عنان السماء والصلاة والسلام على صاحب هذا الفضل العظيم وسر هذا الجمع الكريم الذي وصفه مولاه بأنه:

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة]

سيدنا محمد وآله الطيبين وصحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين .. آمين يا رب العالمين.

• مقامات المقربين

أرى بعين القلب أن قلوبكم تهفو إلى مقامات المقربين وتشتاق إلى منازل الصالحين وتحرص على أن يكون لها هذا الفضل فتلحق فى الدنيا بمعية الصالحين ويكون لها حظ وافر من ميراث سيد الأولين والآخرين ﷺ لذلك نريد أن نعرف الطريق السهل الميسور الذي يوصلنا إلى ذلك؟

كلنا يذكر الحديث القدسي الذي يقول فيه رب العزة ﷻ:

{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ

كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ}[٤٥]

وقد اعتقد جمٌّ غفير من المسلمين السابقين واللاحقين أن التقرب إلى الله بالنوافل هو سرُّ حبِّ الله وسبب ولاية الله ... وهو السبب المباشر لكل عطاءات الله لأولياء الله رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين !!!

فماذا فعلوا؟؟؟ ... تسابقوا فى النوافل اللواحق (أى النوافل القبلية والبعدية لكل صلاة) وزادوا على ذلك بالنوافل التى حرص عليها حبيب الله ومصطفاه كقيام الليل وصلاة الضحى وصيام الأيام المتنوعة!!

ولكن يا إخوانى هناك أمر غاب عن الأذهان! هل هذه نوافل! ... نظر المحققون من الصالحين ياإخوانى إلى هذه النوافل على أن الأليق بها أن تكون كالفرائض بالنسبة لنا وليست نوافل، ولمَ؟ ...!!

لأنه لا يوجد بيننا من يؤدي فريضة كاملة لله ﷻ وقد قال ﷺ:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلاَتُهُ فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالَ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ

٤٥ رواه البخارى عن أبى هريرة.

ثُمَّ سَائِرُ الأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذٰلِكَ }[٤٦]

إذاً فالتطوع يُكْمل الصلاة ! وبالتالى فإن الصلوات اللواحق بالنسبة للضعفاء أمثالنا فى الحضور بين يديَّ الله وفى الخشوع لعظيم جلال الله تُكْمل الفرائض!! !! فربما تكمل الفريضة اللواحق القبلية والبعدية، وربما لا تكفى لإكمال الفريضة فَيُؤتى لها بختام الصلاة، وربما لا تكتمل الفريضة بذلك أيضاً فيؤتى لها بالصلوات النفلية ... كقيام الليل وصلاة الضحى وغيرها لقوله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ إنَّ الرجُلَ ليُصَلِّي الصلاةَ ما لَهُ مِنْهَا إلاَّ عُشْرُهَا تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا }[٤٧] وروى أيضاً:

{ لا يكتب للمرء من صلاته إلا ماعقل منها }

إذاً فالنوافل وظيفتها إكمال الفرائض! ولذلك جاء بها ﷺ لإكمال الفرائض وتصير كاملة عند الله ﷻ، هذا فى نوافل الصلاة وكذلك فى نوافل الصيام، وشأن الصلاة قال فيه سيدنا عمر ﷺ على المنبر:

{ إنّ الرجل ليشيب عارضاه – أى لحيته – في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عزَّ وجلَّ فيها }[٤٨]

---

٤٦ سنن النسائي الصغرى عن أبى هريرة.
٤٧ صحيح ابن حبان وسنن البيهقى الكبرى عن عبدالله بن عنمة.
٤٨ إحياء علوم الدين، المستطرف فى كل فن مستظرف وغيرها

ألم يرَ النبي ﷺ رجلاً صلَّى ثم جاء يسلم عليه فقال له ﷺ:

{ ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ، حتى فعل ذلك ثلاث مراتٍ، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني، وقال ﷺ في آخره للرجل بعد أن علَّمه الصلاة: فإذا فعلت هذا فقد تمَّت صلاتك، وما انتقصت من هذا، فإنما انتقصْتَه من صلاتك } [٤٩]

ويقول فى ذلك أيضاً الأئمة الأعلام:

{ إن المرء ليصوم شهر رمضان ولا يكتب له صيام يوم واحد كامل عند الله ﷻ }.

لأنه ظنَّ أن الذي يبطل الصيام ... الطعام والشراب والجماع، ونسي قول الحبيب ﷺ فى الحديث الشريف:

{ خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ وَيَنْقُضْنَ الْوُضُوءَ: الْكَذِبُ، وَالْغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالنَّظَرُ بِالشَّهْوَةِ وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ } [٥٠]

ومن الذي يسلم من هؤلاء؟ .... لا يسلم إلا أقل القليل !! لكنه قد يقع فى واحدة أو اثنتين أو أكثر .... ويعتقد أن صيامه صحيح لأنه يحكم عليه بالأمر الجامع ... أى بالطعام والشراب والجماع .... ونسي قول الحبيب المصيب صلوات الله وتسليماته عليه.

---

٤٩ أخرجه أبو داوود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة ﷺ

٥٠ رواه اليلمى عن أنس، جامع المسانيد والمراسيل، وكنز العمال.

إذاً أيها القراء الأفاضل .. دعونى أسألكم ... ما النوافل المحققة التى يزيدها من يريد رتبة الصلاح والولاية عند الله غير ما ذكرناه؟

فالذي يريد ولاية الله عليه أن يؤدي النوافل التى ذكرناها ... ولا يُقصِّر فيها بل يكون أكثر الناس مسارعة إليها لكنه يعلم علم اليقين أنها ليست هى النوافل التى توجب له محبة الله! لأنها فى نظره وعلى الحقيقة تُكْمل الفرائض التى عليه لله ﷻ كل هذا الذي ذكرناه أعمالٌ صالحةٌ يعملها العبد لنفسه، فإذا صلَّى فإنه يصلى لنفسه؛ ألم يقل الله :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الجاثية]

فالمصلى يصلى لنفسه ... والصائم يصوم لنفسه ... والمزكى يزكى لنفسه ... والحاج يحُج لنفسه ... !!!!

لكن النوافل العظام التى لها شأن عند الملك العلام والوهاب العظيم والنبي الرؤوف الرحيم التى يستن فيها الإنسان برسل الله وأنبياء الله والثلة المباركة من أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ .... هى ما نسميها بالعبادة الخاصة .. كيف ذلك؟

يجب أن يكون لكل واحد عبادة خاصة يتميز بها !! .. خلاف العبادات العامة التى نشترك فيها جميعاً ... يؤديها خصوصية له إلى ربه ﷻ ..... هذه العبادات الخاصة أعلاها شأناً ... وأرفعها درجة عند الله ما كان نفعها يتعلق بخلق الله لا بذاته هو.

• العلم عبادة الأنبياء والمرسلين

ما عبادة الأنبياء والمرسلين؟ عبادتهم هى التى قال الله له فيها:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه]

العلم: يتعلَّم هو من العليم سبحانه.... ويعلِّم الجهلاء كي يتفقهوا فى دين الله ﷻ، ولذلك ورد عن سيدى أبى العباس المرسى ﷺ أنه كان يأتيه البدوي يبول على نفسه – أى لا يعرف كيفية الاستنجاء ولا كيفية التَّطهُّر – فيمكث عنده ثلاثة أيام فيخرج عالماً بالله ﷻ.، هل ذلك أفضل أم صلاة ألف ركعة فى كل ليلة؟ .. يقول ﷺ:

{ لأنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ }[٥١]

وفى رواية: {لأنْ يَهْدِيَ الله عَلى يَدَيْكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ }[٥٢].

إذاً كانت عبادة رسول الله ﷺ طلب العلم من الله بالزيادة ...ثم تعليم خلق الله .. ونشر دين الله وشرع الله جلَّ فى علاه ... وهى أعلى وظيفة !!، وكان على ذلك أعلى المقربين والصالحين والوارثين لسيد الأولين والآخرين الذين ورثوا هذا الشأن .... أى الذي يعلِّم نفسه ثم يعلِّم غيره .. ولا يوجد فى الأمة رجل يتعلَّم فقط لقول الحبيب ﷺ:

---

٥١ صحيح البخارى ومسلم عن سهل بن سعد.

٥٢ من حديث أبى رافع فى جامع بيان العلم وفضله لأبن أبى بر.

{ بَلغُوا عَني وَلَوْ آيَةً }[٥٣]

فلو عرفت مسألة واحدة ... عليك أن تُعَلِّمها لزوجك، ولأولادك، ولجيرانك، ثم لرفقائك فى العمل بحسب مقتضى الحال ... واجعل حديثك دائماً مع إخوانك المسلمين فى مسائل الدين ... لكن ليس للجدال! ولكن للتعليم كي تدخل فى هذه الوراثة الكاملة للنبي الرءوف الرحيم ﷺ التى يقول فيها:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ. إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً. إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ. فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ }[٥٤]

من ميراث رسول الله ﷺ ... وكما لا يوجد في الأمة متعلم فقط! كذلك لا يوجد فيها معلم فقط! لأنه قال عز شأنه:

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[يوسف]

إذ يسعى المرء لطلب العلم ممن فوقه ... ويعلِّم من دونه ... وهذه هي وظيفة كلِّ رجل فى هذه الأمة:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ وإذا فعلتم ذلك ... ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠]

---

٥٣ رواه البخارى وأحمد والترمذي عن ابن عمرو.
٥٤ رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي عن أبى الدرداء.

هنا يصح الإيمان بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهذا للأمة كلها: ﴿ كُنتُم ﴾ أى جميعاً ... وذلك لأنك عندما تأمر بالمعروف فإنك ستأمر نفسك وتنهى نفسك ... فإن استجابت! لك تدعو زوجك .. فإن استجابت! ستدعو أولادك ... فإن استجابوا! ستدعو أهلك ... فإن استجابوا! ... ستدعو جيرانك !!!

إذاً يجب على كل مسلم أن يكون فى هذا الباب، وينافس فيه ليفوز بنصيبه الوافر مع الأحباب من النبي ﷺ فى العلم الذي ورثَّه الله ﷻ له فى الكتاب، ولذلك فإن النبي ﷺ يقول واسمعوا هذا الحديث وعوه:

{ مَنْ غَدا إِلى المسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يتَعلَّمَ خَيْراً، أَو يُعَلِّمَهُ، كان له أجْرُ حاجٍّ تاماً حجّتَهُ } [٥٥]، وقال ﷺ أيضاً: **{ مَنْ جاءَ مَسْجِدَنا هذا يَتَعَلَّمُ خَيْراً وَيُعَلِّمُهُ، فَهو كالْمجَاهِدِ في سَبيلِ الله }** [٥٦]

أى الذي يأتى إلى المسجد كي يتعلم يكتب له أجر حجة تامة كاملة .. كم ينفق الواحد منا ليحظى بهذا الأجر عندما يحج؟ وكم يبذل من التعب والعناء ليحظى بأجر الحج ؟ !!! كل ذلك وهو لا يعلم إن كانت حجته بعد هذا تامة وكاملة! أم ناقصة!

ولكن من جاء المسجد للعلم فقد حظى بهذا الأجر بفضل الله تاما غير منقوص! من غير تعب ولا عناء ولا شقاء ولا مصاريف ولا فلوس ! ومن يأتى المسجد كي يُعلّم؛ كذلك يكتب له خيرٌ من عبادة ستين سنة.

---

٥٥ عن أَبي أُمامةَ ، رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون كلهم.
٥٦ عن أبي هريرة المستدرك على الصحيحين

وهنا إشارة ... لماذا ذكر ﷺ الاثنين؟

لأنه كما قلنا فإنك تعلم وتتعلم ...فلا يوجد معلم وفقط! .. فسيدنا موسى عليه السلام عندما قال له بنو اسرائيل: من أعلم الناس يا موسى؟ قال: أنا! عاتبه الله على ذلك لأنه لم ينسب العلم إلى العليم ﷻ ، ومع أنه نبي! وكليم! إلا أن الله أمره أن يذهب إلى عبد متواضع متوارٍ! كالذين يقول فيهم الرءوف الرحيم ﷺ :

{ أَلاَ أُخْبِرُكَ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: رَجُلٌ ضَعِيفٌ، مُسْتَضْعَفٌ، ذُو طِمْرَيْنِ، لاَ يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ }[٥٧]

وكان العبد على هذا المثال وقد مشى سيدنا موسى إليه وعندما سارا معا رأيا عصفوراً نقر نقرتين فى البحر فقال العبد لموسى كما جاء :

{ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ }[٥٨] ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧٦يوسف]

كذلك سيدنا سليمان عليه السلام عندما كان يجلس مع خاصته وقال: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [١٦ النمل]، وعندما ذهب ليتفقد الطير قال:﴿ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ [٢٠النمل]، بعد ذلك جاء الهدهد فسأله أين كنت؟ قال: أحطت بما لم تحط به !!! ... وانظر إلى إعجاز الله ﷻ ... وتعليم الله ﷻ وتأديبه لأنبياءه ورسله ... فأين نذهب نحن يا

٥٧ سنن ابن ماجة عن معاذ بن جبل.
٥٨ البخارى ومسلم عن ابن عباس.

إخوانى عندما نسمع واحداً منا وهو يقول: أنا العالم فلان!، وإذا قلنا له:هيا نحضر مجلس علم لفلان، يقول: ماذا سيقول أكثر مما عندي!! وماذا تملك يا مسكين من العلم ...!! فالعلم كله فى العالم كله!

من الذي يستطيع أن يجمع العلم كله؟! ... وقد جمع الإمام جلال الدين السيوطى ﷺ مائة ألف حديث لرسول الله ﷺ بأسانيدهم فلان عن فلان عن فلان، ثم جاءه رسول الله ﷺ فى المنام كي يُشَرِّفه .. وقال له كي يبشِّره: اقرأ علىَّ يا شيخ الحديث !، وقرأ على رسول الله بعض أحاديثه فى المنام ، ومع أنه ﷺ أعطاه مرتبة شيخ الحديث، إلا أنه ﷺ قال: "جمعت مائة ألف حديث عن رسول الله ﷺ .. ولا أظن أنى جمعت حديث رسول الله ﷺ كله !" ... لماذا؟ لأن أصحاب رسول الله تفرقوا فى البلاد وكان مع كل رجل منهم أحاديث سمعتها أذناه ووعاها قلبه لم يسمعها غيره من رسول الله ﷺ .....

ولذا فإنى أعجب عندما يأتى رجلٌ ويقول: هذا الحديث لم يرد؟ من الذي أدراك؟ وكل ما عليك أن تقوله هو أن هذا الحديث لم يمر علىَّ! أو أنى لم أسمعه ولم أطلع عليه! ... فهل يوجد ياأيها القراء الكرام على ظهر البسيطة من عصر حضرة النبي إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها من جمع كل تراث النبي من الحديث؟! إن كان ... فأين هو؟

وذلك لأن كل كلمة كان يقولها رسول الله كانت حديثاً سواءاً كان يقولها لواحد أو لإثنين أولثلاثة، فهى حديث ... وقد كانت عبادة رسول الله طوال النهار تعليماً .. ثلاثة وعشرون سنة كلام وعمل!! من الذي يستطيع أن يجمعها! وأين السجلات التى تدونها وتستوعبها! وأين الشرائط التى

تسجلها!! ...

إذاً من الأدب مع حضرة النبي ألا يقول أحدٌ أن هذا الحديث لم يرد بل يقول: لم أقرأه أو لم أطلع عليه أو لم أسمعه! لأنه من الجائز أن يكون قد سمعه غيره أو جمعه أو حفظه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

وبذلك فإن أول عبادة خاصة يتقرب بها المتقربون لينالوا محبة الله أن يتفقهوا فى الدين ... ليعملوا به أولاً فى أنفسهم ... ثم يعلِّمون غيرهم من عباد الله المسلمين ... وأكرر بوضوح ... لا يتعلم ليُعَلِّم ..لا! .. ولكن يتعلم أولاً ليعمل .. فإذا عمل به وانفعل قلبه بنور عمله ... يبلِّغ بعد ذلك عن ربه أو عن نبيه ﷺ ،

فلا يتعلم ليقال عالم وإلا كان هذا أجره { فَقَدْ قِيلَ }[٥٩]، ولا ليجادل! لأن ديننا ينهى عن الجدال الذي يقول فيه نبينا ﷺ:

{ أَنَا الزَعِيمُ -الضامن- بِبَيْتٍ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلاَهَا، وَبِبَيْتٍ فِي أَسْفَلِهَا لِمَنْ تَرَكَ الْجِدَالَ وَهُوَ مُحِقٌّ، وَتَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ لاَعِبٌ، وَحَسُنَ خُلُقُهُ لِلنَّاسِ }[٦٠].

وذلك لأن الجدال يُوَرِّث الضغائن فى النفوس والأحقاد فى القلوب ويدفع للكذب فى الحجج ويدفع للتبجح! والتعنف !ولذلك أمر المسلمين بمنع الجدال بالكلية، من الذي يجادل يا رسول الله؟ قال ﷺ:

٥٩ من حديث "فعلت لِيُقال" رواه مسلم عن أبي هريرة.
٦٠ رواه الطبراني عن ابن عباس.

{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ }[٦١]

إذاً فالجدل دليلٌ على غضب الله .. هل معنى ذلك ألا نتناقش فى العلم؟ ..لا.. ليس ذلك! .. ولكن هناك ما يسمى بالمناظرة ... أنا أدلي برأيي ... والثانى يدلي برأيه ... لكن أخضع لصاحب الحجة الأقوى! .. بلا تعنت ! ... أما المجادل فهو المصرُّ على رأيه! ويريد أن يفرضه على الآخرين ولو كان خطأً! وهذا ما نهى عنه نبي الإسلام ﷺ..وهذه الآداب ذكرها رسول الله فى الحديث الشريف حيث يقول:

{ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ الله جَهَنَّمَ }[٦٢]

إذاً علينا أن نطلب العلم أولاً للعمل به ... ثم بعد ذلك نعلِّم غيرنا طلباً لمرضاة الله ﷻ ورغبة بإخلاص وصدق فى نشر دين الله .. لا للتمشيخ على عباد الله! ولا لإكتساب المنزلة بين خلق الله! ... فإن كل ذلك فانٍ يوم لقاء الله ﷻ .... وذلك مثل إمام العلماء بعد سيد الرسل والأنبياء علمه الله فقال كما قال عنه مولاه فى كتابه فى (٩ الإنسان) :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾

لماذا؟ ..لأن الجزاء الوافى عند رب العالمين ﷻ ! ... ونكتفى بهذا القدر فى هذا الباب لكي نفتح بعض الأبواب الأخرى للأحباب.

---

٦١ رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبى أمامة.
٦٢ رواه الطبراني فى الأوسط والبزار عن أنس بن مالك.

• قضاء حوائج الناس

الباب الثاني فى العبادات الخاصة الذي كان يقصده الخواص من أصحاب رسول الله ﷺ؛ .. هو قضاء حوائج المؤمنين .. والسعى فى مصالح المسلمين ابتغاء وجه الله ﷻ ....ز

والناس فى هذا الزمان لا تعتبر هذا العمل عبادة! وإنما تعتبره خدمة مقابل خدمة !! ... أو رشوة مقابل آداء الخدمة !!! .. وهذا هو الذي صَعَّب حياة المسلمين وجعلها حياة مملوءةً بالمشقة والتعب والعناء!

أما سيدنا رسول الله فقد علم الرعيل الأول السعى فى هذا العمل، منهم سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ الذي كان يمشي فى طرقات المدينة!! ليتحسس أحوال المسلمين! ويبحث عن المسكين الذي لا عائل له ولا أنيس له ولا مصدر دخل له! .. ليقوم به .. ويمده طلباً لمرضاة الله .. وكم فى الأمة من مسكين ليس له ناصر ولا معين ولا عائل ولا دخل!

وانشغل المسلمين بأمورهم الشخصية وشهواتهم البطنية عن هذه الأحاسيس الإيمانية التى نبه عليها خير البرية ﷺ بقوله:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَاناً وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ }[٦٣]

وقد يبيت المرء فى الصلاة أو فى قراءة القرآن لكن جاره جوعاناً ولا يملك شيئاً فهل تجزئ هذه الصلاة؟ هل تنفعه هذه الطاعة عند الله وتمنعه

٦٣ المستدرك للحاكم عن عائشة ﷺ.

من المسائلة يوم لقاء الله !! ذلك مع قول الله ﷻ فى حديثه القدسي يوم القيامة :

{ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي }[٦٤].

ماذا يقول؟ هل يقول: كنت أصلي!!!؟ لمَ لا تتحسس أحوال إخوانك المسلمين؟ وقد كان سيدنا أبوبكر يتحسس، وكذلك سيدنا عمر كان يتحسس ....، لا يتجسس!! .. فإننا الآن نتجسس لكنهم كانوا يتحسسون!! والفرق نقطة بين التحسس والتجسس لكن هذه النقطة تجعل الفرق بينهما كما بين المشرق والمغرب .. فهذا من عمل أهل الجنة .. وذاك من عمل أهل النار!!

---

٦٤ صحيح مسلم عن أبى هريرة.

وقد رأى سيدنا أبوبكر مسكينةً لا عائل ولا زائر لها؛ فكان يذهب لهذه المرأة العجوز ليقضى لها كل مصالحها؛ فيكنس البيت ويرشُّه، ويملأ لها الماء، ويأتى لها بالطعام ويصنعه لها ثم يذهب! .. وكان سيدنا عمر كذلك!! وكان تنافسهم فى هذا المجال:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين]

وليس التنافس فى الحطام كما يحدث في هذه الأيام!!، وعندما كان يبحث سيدنا عمر عن أمثال هؤلاء المنقطعين .. عثر على هذه العجوز ! لكنه كلما ذهب إليها وجد جميع مصالحها مقضيَّة! فسألها عمن يقوم لك بذلك؟ قالت: هناك رجل يأتيني كل يوم لكنى لا أعرفه!، قال: متى يأتى؟ قالت: قبل الفجر بساعة!، قال: أنتظر قبل الفجر بساعتين لأرى من يكون هذا الرجل! وعندما فعل؛ وجد أن الذي يذهب للمرأة هو سيدنا أبوبكر فعاتب نفسه شديداً وقال: تباً لك يا عمر أتتبع أسرار أبى بكر.

هذا حال الأولين، وكان على ذلك التابعون! بل كنا نسمع سلفنا الصالح بعد ختام الصلاة يقرأون الفواتح ومن ضمنها الفاتحة للمنقطعين من أمة محمد ﷺ الذين لا زائر لهم ولا أنيس فكان أقل ما يحرصون عليه نحوهم الدعاء لهم .. أى أنهم يتذكرونهم .. ويذكرون الناس بهم!!!

ولكن كيف صار الحال اليوم !!! أصبحنا نسمع فى هذه الأيام فى القاهرة أو بورسعيد أو الإسكندرية وغيرها ، بل وفى الكثير من بلاد المسلمين ... أن الجيران اشتموا رائحة كريهة ولما أبلغوا الشرطة وأتت وفتحت الباب يجدون شيخاً كبيراً أو أمَّاً كبيرة !! قد ماتت وتحلل

الجسم وأنتشرت الرائحة ... وقبلك لم يشعر بها أحد !!!

هل يصح أن يحدث هذا فى مجتمع المسلمين والمؤمنين؟ كيف؟ نفترض أنه ليس لها ابن! ولا أخ! ولا أخت ولاقريب!، أليس لها جيران؟

للأسف أصبح الجيران كلٌ مشغولاً بنفسه! ولا يريد أن يلقى السلام على جاره إلا إذا قبض ثمنا دنيوياً! وهذا من الأمراض التى استشرت الآن فى الأمة المحمدية ... لأنهم ظنوا أن العبادات التى يريدها منهم ربُّ البرية هى الصلاة والصيام والزكاة والحج والشكليات .. وتلاوة القرآن .. ونسوا الواجبات نحو المسلمين والمسلمات !! وهو أعظم الواجبات والنوافل والقربات فى حق المسلمين والمسلمات كما أخبر بذلك وعلمنا سيد السادات ﷺ ....!!!

عندما يأتى للواحد منا خيرٌ! يفرح له الجيران؟ كذلك لو حصل على منصب كبير يفرح الجيران !، لأن جميع مصالحهم ستقضى !!، لكن حدث العكس عندما تولى سيدنا أبوبكر خلافة المسلمين!! فقد فوجئ بأن جيرانه غير سعداء بذلك! فسألهم عن السبب؟، فقالوا: أنت الذي كنت تحلب لنا الإبل والشياه والماعز! أما وقد أصبحت الخليفة .. فإننا لن نجد من يحلب لنا! فقال: سأظل على عهدى معكم! فكان يفعل ذلك من أجل دوام المحبة، ففى ابن عساكر عن أبى هريرة عنه ﷺ: { **تهادُوا تَحَابُّوا** } فكان يهديهم وقته وجهده حتى بعد أن صار حاكماً وهكذا أمر الحبيب.

ومن يجلس فى خلوة فى بيته !! ولا ينزل منه إلا لصلاة الجمعة ويقول: أنا مشغول بالله وأصلى وأصوم وأتلو القرآن! هل يستوى هذا مع من

يرعى مصالح الجيران؟ لا .. فإذا كان هناك لمسلم حاجة وأنا أستطيع ابلاغها فإن حضرة النبي قال فى ذلك:

{ أَبْلِغُوا حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغَ حَاجَتَهُ، فَمَنْ أَبْلَغَ سُلْطَاناً حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيع إِبْلاَغَهَا، ثَبَّتَ الله قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ }[٦٥]

لماذا يا رسول الله؟ قال:

{ مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْراً مِنِ اعْتِكَافِ عِشْرِينَ سَنَةٍ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلاَثَةَ خَنَادِقَ، أَبْعَدُهَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ }[٦٦]

أيَّة مصلحة!! ... فإن كان جارى لا يستطيع شراء الخبز وأنا أستطيع واشتريته له فإنه يُكتب لى فى كل يوم عبادة ستين سنة !!.، كذلك إن كانت جارتى مريضة وليس عندها ماء ! وأنا عندي وملأت لها يومياً فإنى كذلك آخذ كل يوم عبادة ستين سنة!!، وإذا لم يكن عندها كبريت وأعطيتها عود كبريت فإنى كذلك آخذ أجر عبادة ستين سنة !! وكذلك فى كل شيء إن كان صغيراً أو كبيراً !!!! ....

لكن للأسف امتنع الناس عن هذه الأشياء الآن وصدق قول الحكيم العليم : ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون٧] أى المعونة، فلماذا تحرمون أنفسكم هذا الأجر!! وليس هذا وحسب! لكن سيدنا رسول الله قال:

---

٦٥ الطبراني وأبو الشيخ من حديث أبى الدرداء.
٦٦ (طس ك هب) عن ابن عباس.

{ من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه فإن رجح وإلاّ شفعت له }[٦٧]

فأين العبادة التى تُحَصِّل ذلك؟ هذه العبادة لو كانت موجودة بيننا جماعة المسلمين فمن الذي يحتار من الموحدين؟ ... أما الآن فقد أصبحت المصالح معلقة بالمصالح!، مع أن قضاء المصالح عبادة الصالحين !! وعبادة من يريدون أن يكونوا ورثة لسيد الأولين والآخرين ﷺ !! ....

لذلك أراد رسول الله ﷺ أن يُعّرف أصحابه روَّاد مسجده المبارك الذين كان معظمهم قائماً للَّيل منهم من يصلى، ومنهم من يقرأ القرآن؛ العبادة الأهم، فقال بعد صلاة الفجر .. واستمع لأبى هريرة يروى قال:

{ قالَ رَسُولُ اللّهِ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِماً؟ ، قالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ: مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟، قالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قالَ: مَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا فَقَالَ: مَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟، قالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: مَا ٱجْتَمَعَتْ هٰذِهِ الْخِصَالُ قَطُّ في رَجُلٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ }[٦٨].

وأراد ﷺ أن يعطيهم درساً عملياً أن العبادة الأعلى والأرقى والأعظم

---

٦٧ لأبى نعيم الحافظ فى الحلية بإسناده من حديث مالك بن أنس والعمري عن نافع عن ابن عمر، وفى التذكرة في أحوال الموتى، و فى الدر المنثور.

٦٨ رواه ابن خزيمة في صحيحه عن أبى هريرة.

التى تتعلق بالمسلمين كتشييع الجنازة وعيادة المريض وقضاء المصالح وقد جمعها ﷺ فى قوله الشريف:

{ ما عبد الله بشيء أفضل من جبر الخاطر }[٦٩]

وذلك لأنك عندما تزور المريض فإنك تجبر خاطره، وعندما تشيع جنازة فإنك تجبر خاطر أهل المتوفى، وعندما تقضى مصلحة المؤمن فإنك تجبر خاطره، وهى عبادة المؤمنين التى قال فيها حضرة النبي:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ – هل قال فى صلاتهم أو فى صيامهم؟ لا، ولكنه قال – فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى

إذاً فالعبادة الأعلى هى العبادة التى فيها توادٌّ .. وتراحمٌ ... والتى فيها تعاطف للمؤمنين والمؤمنات وبين المومنين والمؤمنات !!!.

• الإصلاح بين المسلمين

ونأخذ باباً ثالثاً .....وهو باب هام فى هذه الأيام .. كذلك رأى سيدنا رسول الله أصحابه منشغلين بالطاعات والعبادات فقال لهم أولاً:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ – أي إياكم وأن تعتمدوا

٦٩ مراقى العبودية لإبن تيمية، وفى كشف الخفاء
٧٠ رواه البخارى عن النعمان بن بشير.

على العمل – قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ برحمته } وفى رواية { إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ} [٧١]

وإياك أن تظن أن العمل وحده هو الذي يدخلك وإنما الذي يدخلك هو فضل الله .. ورحمة الله .. وإكرام الله ... وعطف الله .. وحنان الله .. لأنه سبحانه لو حاسبك على العمل! فماذا يفعل العمل! إذ لو حاسبك فقط بالإخلاص فماذا يبقى من العمل؟ ثم عاد أخرى وقال:

{ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ»؟ – يقصد النوافل منها – قَالُوا: بَلَى. قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ أَقُولُ: تَحْلِقُ الدِّينَ } [٧٢]

وقد رأينا ذلك واضحاً جلياً فى هذه الأيام !!! ... فما الذي رقق الدين وجعل الدين ضعيفاً فى نفوس المسلمين؟! ... فساد ذات البين .. وفساد النفوس والقلوب والمشاكل التى لا منتهى لها ولا حصر بين المسلمين والمسلمات ..!! ومعظمها من أجل المادة الفانية التى سنتركها جميعاً ونسافر إلى الله ﷻ ... إذاً فالعبادة الأعلى هنا هى الصلح!

فإذا عرفت أن أخاك المسلم الذي بجوارك يخاصم فلاناً! فقد أصبح

٧١ رواه أحمد وإسناده حسن عن أبى سعيد الخدري.
٧٢ رواه أحمد والترمذي وأبى داوود عن أبى الدرداء.

فرضاً عليك التدخل فى الإصلاح بينهما – فمن منا الآن يشعر أن إصلاح ذات البين فريضة عليه؟ لا أحد!، فالكل يقول: لا شأن لي! بينما يجب عليك فى ذلك أن تبذل كل ما فى وسعك! وإن صدقت فسيُصلح الله شأنهما على يديك ..ثق بذلك!!

فعندما أرسل سيدنا عمر رجلين من أهل الزوجين وذهبا ثم عادا ولم يصلحا !، قال لهما: إن نيتكما غير سليمة، لأن الله يقول:

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ [٣٥النساء]،

أصلحا النيَّة واذهبا مرة أخرى !

فلما أصلحا النية تمَّ الصلح بينهما وصدق الله تعالى !!.

ولو تدخلت وحدك بعد أن تأخذ العون من الله وتطلب التوفيق من الله فإنك ستحل مشكلة بين عائلتين ربما فشل فى حلها الكثيرون قبلك!! لأنه من الجائز أن يكون لمن سبقوك مآرب أو مصالح .!!

فقد يتدخل واحد منهم من أجل أنه سيرشح نفسه فى الإنتخابات ويريد تأييد هؤلاء وعائلاتهم!! وهنا لا تكون النية خالصة لله..، أما إذا تدخل الإنسان لله! فلا بد أن يتحقق الصلح بأمر الله جل فى علاه !!

ونحن كمسلمين .. لو عرف كل واحد منا أن أي مشكلة تعرض عليه وجب عليه أن يتدخل فوراً لحلها! وإن لم يستطع بنفسه؛ يستعين بنفر من إخوانه! ... إذا عرفنا ذلك وفعلناه ...

هل يكون قضايا ومشاكل فى المحاكم أو خصام فى المجتمعات؟ أبداً ياإخوانى القراء الكرام ....

فهذه فريضة نستطيع أن نسميها فريضة غائبة فى هذه الأيام!!

ولو جلس واحد ليلة أو ساعة للإصلاح بين متخاصمين إلى أن تمَّ الصلح وآخر قضى هذه الليلة فى جوار البيت الحرام !! وصلى لله ألف ركعة!!، من الأفضل عملاً منهم؟ .. أجيبونى !! .. الذي أصلح بين المتخاصمين هو الأفضل عملاً.

بل وحذَّر ﷺ فى النهاية كل من يقدر على نفع إخوانه ولايفعل ولا يهتم إلا بنفسه!! ولا يعرف غير المصلحة مقابل المصلحة ولا عمل لله! أو من يستطيع ويمسك ويبخل فقال منبِّهاً ومحذِّراً:

{ وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَدَعُ الْمَشْيَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ إِلاَّ ابْتُلِيَ بِمَعُونَةِ مَنْ يَأْثَمُ عَلَيْهِ، وَلاَ يُؤْجَرُ فِيهِ }[٧٣]

وهذه يا إخوانى بعض الأبواب التى توصل الإنسان لوراثة الكتاب والتى يدخل بها فى قول العلى الوهاب:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾[٣٢فاطر]

من هم؟ هم من تكلمنا عنهم وقاموا بهذه الأدوار، وهذا ما جعل مجتمع المدينة المنورة وغيرها من المجتمعات الإسلامية . مجتمعات تقيَّة نقيَّة! ليس فيها حزازيَّة! ولا عصبيَّة! ولا جدال! ولا سبٌّ! ولا شتمٌ! ولا فيها خيانة ولا سرقة! لماذا؟ ذلك لأن هَمَّهم كلَّه كان إصلاح أحوال إخوانهم المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٧٣ رُوِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الترغيب والترهيب

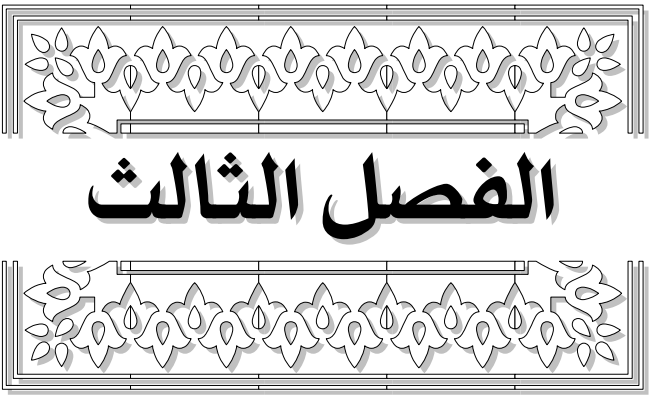

الفصل الثالث

جهاد المقرَّبين[٧٤]

- منازل عباد الرَّحمن
- زينة المقرَّبين

٧٤ الدرس بعد العشاء بمنزل الحاج سيد منسي – المنيا – قرية بلهاسة – مركز مغاغة ٢٠١٠/٤/٧م الموافق ٢٢ ربيع ثان ١٤٣١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وعلمنا وأروانا ونسأله ﷻ أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين الفاكرين لحضرته فى كل وقت وحين...

والصلاة والسلام على إمام المربين .. وسيد المعلمين .. والقدوة الطيبة الحسنة فى كل أحواله وأخلاقه وسلوكه .. بين العالمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أرى فى نفس البعض تساؤلاً هاما .. يقول:

إن كان الكلام الذي ذكرته بأن الخدمة العامة ومصالح الأمة والإهتمام بها، أهم مقاصد المسلمين! ومطلب الصالحين! الذي وجه إليه سيد الأولين والآخرين !! إن كان هذا! .. فلماذا إذاً نرى فى عصرنا قوماً كل همهم تقصير الثياب! وإطالة اللحية! واستخدام السواك! والإطالة فى الصلاة فى الركوع والسجود والتلاوة !! ويَدَّعَون أنهم على الحق! ويعاملون الخلق بفظاظة! وغلظة حتى يردوهم إلى هذا المنهج!! ويعتقدون أن هذا المنهج هو الحق والصواب!! وأن غيره يخالف الحق!

ولمثل هؤلاء نقول تعالوا معنا إلى سنة رسول الله وأصحابه الكرام رضى الله عنهم عندما قالوا له: يا رسول الله فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها – مجرد أنها طويلة اللسان (كما نقول) وحسب فهى لا تسرق .. ولا تقتل ... ولا تُشرك ... ولا تُكفِّر ولا حتى تكتب شكاوى كيديه !! كالموجود فى هذه الأيام بكثرة فما حكم الذي لا ينطق عن الهوى فى ذلك؟

{ قِيلَ لِلنّبي: إِنّ فُلاَنَةً تَقُوم اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النّهَارَ، وَتَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتَصّدّقُ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لاَ خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النّارِ، وَفُلاَنَةٌ تُصَلي المَكْتُوبَةَ، وَتَصّدّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأُقْطِ، وَلاَ تُؤْذِي أَحَداً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنّةِ }[٧٥]

أرأيتم المقابلة النبوية .. والمفاضلة المحمدية .. بين كثيرة العبادة بالليل والنهار وهى تؤذى جيرانها !!! و الأخرى التى تصلى المكتوبة وتتصدق بأقل القليل!! ولكنها حفظت نفسها عن إيذاء الخلق ... أرايتم الفارق الشاهق!!.. ماذا تختارون بالله عليكم !

وجاء لرجل آخر وهو يجلس مع أصحابه وقال: { **يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة** } فدخل سيدنا عبدالله بن سلام وبعض الروايات لم تحدد الاسم وبعضها قال سعداً، ولكننا اجتهدنا حتى عرفنا الإسم فوجدناه سيدنا عبدالله بن سلام ﷺ ..

جلس الرجل فترة ثم قام ، فقال ﷺ: { **قام عنكم الآن رجل من أهل الجنة**}، وتكرر ذلك فى ثلاثة أيام متتالية !!! فما كان من سيدنا عبدالله بن عمرو بن العاص وفى رواية أخرى أنه سيدنا عبدالله بن عمر، والإثنان كانا يقومان الليل كله .. ويصومان الدهر .. ويقرآن القرآن كل عدة أيام مرة، إلا أنه ذهب ليرى كيف وصل هذا الرجل إلى تلك المنزلة؟

فذهب على أن هناك خلافاً بينه وبين أبيه وعليه غادر بيته ويريد من

٧٥ (هب، ط) عن أبى هريرة.

سيدنا عبدالله بن سلام أن يستضيفه، فاستضافه الرجل.

وفى أول ليلة نام الرجل ولم يستقيظ إلا قبل الفجر بقليل فتوضأ وأحسن الوضوء وقال: هيا بنا كي نصلي مع رسول الله، فتعجب الرجل لأنه نفسه يقوم الليل كله !! وهذه الأولى !!!

أما الثانية ففى الصباح جاء عبدالله بن سلام للرجل بالطعام فسأله ألست بصائم؟ قال: لا، – فقال فى نفسه: من الجائز أن يكون الرجل كان متعباً فى البارحة أو مريضاً فلن يستطيع الصيام!!

ولكن الأمر تكرر فى الليلة الثانية ! بل وفى الثالثة !! ولم يكن يزيد سيدنا عبدالله بن سلام عن الفرائض !، فقال له الرجل :

{ يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلاَ هَجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاَثَ مَرّاتٍ، فِي ثَلاَثِ مَجَالِسَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَلاَثَ مَرّاتٍ، فَأَرَدْتُ آوِي إِلَيْكَ، فَأَنْظُرَ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ – ماذا تزيد عني؟ فأنا أقوم الليل كله وأصوم الدهر كله وأقرأ القرآن كل أيام مرة – قَالَ: مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلاًّ لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ أَحْسُدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْن عَمْرو: هَذِهِ الَّتِي

بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لاَ نُطِيقُ }.[٧٦]

وبعد أن سمع ذلك ذهب سيدنا عمرو بن العاص ﷺ إلى سيدنا رسول الله ... وفى قلبه وعقله مافيه من هذا الدرس العظيم !!، وإذا بسيدنا رسول الله يعظ سيدنا أنس ﷺ ويقول فى حديث طويل فيه جماع ماكان من سرِّ تلك الحادثة أو الواقعة ... من فضل وبركة وثواب ترك الغلِّ والغشِّ وإشاعة السلام والمحبة والوئام بين الأنام:

{ وَيَا بُنَيَّ! إِذَا خَرَجْتَ من بَيْتِكَ فَلاَ يَقَعَنّ عَيْنَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ إِلاَّ سَلَّمْتَ عَلَيْهِ فَإِنّكَ تَرْجِعُ مَغْفُوراً لَكَ، وَيَا بَنِيّ! إِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِمْ يَكُنْ بَرَكَةٌ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى أَهْلِكَ، إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌ لأَحَدٍ فَإِنّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ فِي الْحِسَابِ، وَيَا بَنِيَّ! إِنِ اتّبَعْتَ وَصِيّتِي فَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ أَحَبّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، يَا بُنَيَّ إِنّ ذٰلِكَ مِنْ سُنّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنّتِي فَقَدْ أَحَبّنِي وَمَنْ أَحَبّنِي كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي فِي الْجَنّةِ }[٧٧]

هل وعينا الدرس!. هل رأينا ما يبلغ بالعبد إلى أعلى الرتب عند الله وعند حبيبه ومصطفاه! وهل عرفنا يقيناً أن تقع نوافل العبادات إلى جانب نوافل القربات والمقامات ! ... اللهم بلغت! اللهم فاشهد! ..

---

٧٦ أخرجه أحمد ، والنَّسَائي في"عمل اليوم والليلة"، المسند الجامع

٧٧ (ع) وأبو الْحسن الْقَطَّان في المطوالاتِ (طص) عن سعيد بن المسيب عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.

• منازل عباد الرَّحمن

مادمنا عرفنا ذلك ..فمن إذاً يريد أن يكون مع رسول الله؟

من يريد عليه أن يدخل من هذا الباب ... وهو الباب الأكرم والأعظم الذي يستلزم جهاد شديد وعتيد، هذا الباب يقول فيه الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه:

{ ليست الكرامة أن تطير فى الهواء فإن الطيور تفعل ذلك، ولا أن تمشي على الماء فإن الأسماك تفعل ذلك وليست الكرامة أن تقطع ما بين المشرق والمغرب فى لحظة لأن الشيطان يفعل ذلك ولكن الكرامة أن تُغير خلقاً سيئاً فيك بخلق حسن }

وهذا هو جهاد الأبطال وجهاد الرجال وجهاد الكمل .. جهاد العارفين ... جهاد المقربين ... جهاد الصالحين .. جهادهم أن ينظر الواحد منهم فى مرآة نفسه! ويزن نفسه بأخلاق أصحاب رسول الله ويرى أين يكون منهم؟

أو يزن نفسه فى مرحلة أرقى بعد أن ينتهى من الأولى بكتاب الله ويرى الأخلاق التى مدح بها الله الأصفياء ... والأتقياء ... والأنقياء ... من عباد الله وأين يكون منها؟ ....!!

فيجد على سبيل المثال: "عباد الرحمن" والترتيب فى القرآن لسرٍّ يعلمه الرحمن ويكون بحسب الأولوية، قال تعالى (٦٣الفرقان):

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾

أول صفة من صفاتهم هى التواضع لكل الخلق، ولذلك فإن أول شيء يعالجوه منه أن ادخل المصحة النبوية وعالج مرض الكبر!!؛ لأنه لو بقى ذرة واحدة من مرض الكبر فلا وصول! ولا اتحاد بأصل الأصول! وأيضاً ليست هناك له جنة ! ... بماذا؟ ... لأنه ﷺ قال:

{ نظرت إلى باب الجنة فوجدت مكتوباً لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[٧٨]

ليس ذرة وحسب ولكن بعض ذرة أى أقل من الذرة:

ألا من يكن فى قلبه بعض ذرة من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

فهولا يتذوَّق أى شيء لأنه مريض! إذا أعطوه العسل يجده مرًّا! فهل المرارة فى العسل أم عنده؟ عنده! ولكن لأنه مريضٌ بمرض الكبر يرى أنه الوحيد الكامل وبقية الناس لا تعرف شيئاً !! والمفروض أن يكونوا مثله ويتبعوه ويسمعوا توجيهاته ونصائحه !!!! ... وهذا يا إخوانى هو أكبر مرض يتعرض له الإنسان فيحرمه من عطاء الرحمن ﷻ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾. والمرتبة الثانية:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[٦٣الفرقان]

أي أمسك قوة الغضب لديه وهذبها وربَّاها وأصبح حليماً:

٧٨ صحيح مسلم عن عبدالله.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[التوبة] درَّب نفسه وأدخلها فصل ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾[١٣٤،آل عمران].

كلما سمعت شيئاً يغضبها! تكظم الغيظ؛ وقد قال حضرة النبي:

{مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِنْفَاذِهِ مَلأَهُ اللَّهُ أَمْناً وإِيماناً، وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضُعاً كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، وَمَنْ زَوَّجَ لِلَّهِ تَوَّجَهُ اللَّهُ تَاجَ الْمُلْكِ }[٧٩]

والكلام لنا جميعاً ... فى نفع الخلق.. كظم الغيظ ... والتواضع والتراحم ... والتكافل ... حتى بتزويج الضعفاء والفقراء ! فإذا ذكرنا كظم الغيظ !! فالرجل منَّا الذي يمسك زوجته ويضربها كيف يكون رجلاً ورسولنا ﷺ يقول :

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلاَّ كَرِيمٌ، وَلاَ أَهَانَهُنَّ إِلاَّ لَئِيمٌ }[٨٠]

فهل تُنَصِّبْ نفسك خالد بن الوليد على المسكينة زوجتك التى لا تملك إلا لسان! ماذا تفعل معها إذاً؟ ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ وإذا اجتزت هذا الفصل عليك أن تدخل من باب: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾[١٣٤،آل عمران]، لأن الذي كظم غيظه فقد كظمه فى نفسه وفقط !! ... لكن الأعلى من ذلك أن تعفو عمن أساء إليك وتسامحه !! وإذا نجحت النفس فى هذا الباب نرقيها للمرحلة

٧٩ رواه الطبراني وابن عساكر عن سهل بن معاذ.
٨٠ ابن عساكر عن على.

الأعلى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران].

هذا لكى تعلموا أن كلام ربنا بميزان!! لأنها رتبة .. بعد رتبة .. بعد رتبة ... من هؤلاء؟ الذين قال فيهم حضرة النبي:

{ وَأَحْسِنْ إِلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ تَكُنْ مُسْلِمَاً }[٨١].

• زينة المقرَّبين

وإذا أردت أن ترتقى إلى أكثر من ذلك عليك أن ترى أخلاق الحبيب المحبوب التى رَبَّاه عليها حضرة علام الغيوب لأن هذا هو المطلوب وهي من سرِّ ونور قوله تعالى فى الآية (١٩٩الأعراف) :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

إذ لما نزلت سأل الحبيب جبريل عليه السلام قال: ما معنى ذلك يا جبريل؟، قال: حتى أسأل العليم فذهب ثم عاد وقال: يقول لك ربك:

{ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ }[٨٢]

إذاً أيهما أشدُّ على النفس .. هل صلاة ألف ركعة فى الليل أم كظم الغيظ عن إنسان يسبُّك! مع أنك تستطيع أن تنتقم منه؟

الأشد بالطبع كظم الغيظ ... وهو المقام الأعلى والأغلى!

٨١ابن النجار عن على.

٨٢ مسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر

لأنها انفعالات نفسية!! وتوترات عصبية!! تستلزم من الإنسان أن يكون قوي النيَّة صادق العزيمة مع ربِّ البرية لكى يتخلص من هذه الخصلة التى نهى عنها الله، والتى نوَّه بقبحها سيدنا رسول الله ﷺ ولذلك كان النبي يمشي على ذلك مع الأكابر من أصحابه، فقد ذكر أنَّ :

{ أبا بكر ﷺ ، كان عند النبي ﷺ ورجل من المنافقين يسبه، وأبو بكر ﷺ لم يجبه، ورسول الله ﷺ ساكت يبتسم، فأجابه أبو بكر، فقام النبي ﷺ وذهب، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله ما دام يسبني كنت جالساً، فلما أجبته قمت فقال ﷺ: إن الملك كان يجيبه عنك، فلما أجبته ذهب الملك، وجاء الشيطان وأنا لا أجلس في مجلس يكون فيه الشيطان،. فنزل قوله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ } [٨٣]

وقد قال ﷺ فى ذلك:

{ الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَان } [٨٤]

والمؤمن لا يرضى أبداً أن تُمسخ صورته الربانية ويصبح فى صورة شيطان إذ يجب أن يكون فى صورة ملك – فى صورة روحانية عالية – فى صورة قرآنية – فى صورة فيها وراثة للحضرة المحمدية، وإذا أراد ذلك عليه أن يحفظ نفسه من هذه الصفات الجاهلية.

---

٨٣ تفسير السمرقندى

٨٤ مسند الإمام أحمد عن عياض بن حماد.

وهذا يا إخوانى جهاد الأفراد الذين هم أكبر مراتب الأولياء والصالحين، إذ يجاهدون فى التخلق بأخلاق القرآن والتخلص من هذه الأوصاف التى نهى عنها النبي العدنان ﷺ، أما باب العبادات فإن رسول الله كان يجلس مع أصحابه يتذاكرون إخوانهم وأحبابهم ، واسمعوا لسيدنا أنس بن مالك ﷺ إذ قال:

{ كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده، فذكرنا لرسول الله ﷺ اسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل فقلنا: هو هذا يا رسول الله، إنكم لتخبروني عن رجل إن على وجهه لسفعة من الشيطان، قال: فأقبل حتى وقف على المجلس- وفى رواية: فلم يسلِّم - ، فقال له رسول الله ﷺ : أنشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل مني، أو خير مني؟ فقال: اللهم نعم، ثم دخل يصلي، أو: ولَّى ثم دخل المسجد يصلى – فى رواية } [٨٥]

وهذا يا إخوانى هو مرض الكبر والغرور وإذا أصيب الإنسان بمرض الغرور فأعماله كلها عند الله بور، وبالكاد جلس الرجل فترة بسيطة ثم ترك مجلس حضرة النبي، والنبى جالسٌ مع أصحابه يفقِّههم ويعلِّمهم .. ترك هذا المجلس ليتنفَّل! ويصلى! مع أنه لو كنت بالصلاة ونادانى النبى أثنائها

٨٥ عن أنس بن مالك فى تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر النروزي وورد بمصنف الصنعاني عن يزيد الرقاشي، وفيه قصة طويلة.

لوجب علىَّ أن أترك الصلاة وأذهب إليه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [٢٤الأنفال]

وقد نادى سيدنا رسول الله يوماً على سيدنا أبى سعيد بن المعلى ﷺ وهو يصلى فى المسجد فقد ورد عنه :

{ كنتُ أُصلِّي، فمرّ بي رسولُ الله ﷺ فدَعاني فلم آتِه حتى صلَّيتُ، ثم أتَيتُه فقال: ما منَعَكَ أن تأتيني؟ ألم يَقلِ اللَّه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ ﴾ (الأنفال: ٢٤) }[٨٦]

فإذا دعاك رسول الله وأنت فى الصلاة عليك أن تُسلم وتذهب إليه .... وذلك لأن الرجل كان يصلى نفلاً وإجابة رسول الله فرض والفرض مقدم على النفل.

بل وكذلك الأب والأم – وهذا لا يعلمه أكثرنا!!– فإذا نادى علىَّ أبى أو أمي وأنا فى صلاة النفل فى المنزل عليَّ فوراً أن أسلم وأجيبهما أو أرفع صوتى لأعلمهما أنى فى الصلاة!! فإذا صمتا ولم يكررا النداء فبها ونعمت .. أما إذا كررا النداء وجب علىَّ أن أسلم وأجيب لأن صلاة النفل سنة وإجابة الوالدين فرض والفرض مقدم على السنة.

أما مجلس رسول الله فهو أمر عالٍ .. فقد قال فيه حضرة الله:

---

٨٦ أبي سعيدِ بن المعلى رضي الله عنه صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائى

﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ ﴾[٦٢النور]

أي لا يخرج أحد إلا بإذن من رسول الله، وذلك لأن مجلس رسول الله أرقى من أى عبادة؛ فقد يتعلَّم فيه شيئاً أفضل من كلِّ العبادات التى يعبدها لله، أو يتعلَّم فيه ما تصلح به العبادة لله، ثم قال سبحانه له ﷺ:

﴿ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ ﴾

وأمَّا من أذنت لهم ... فهؤلاء :

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾[٦٢النور]

لماذا؟ لأنه سيفوتهم خيِّر كثيِّر بتركهم مجلس رسول الله ﷺ .

ونعود لقصة الرجل هذا الذى ترك مجلس رسول الله .... وذهب إلى المسجد ... ليصلِّى كما يبدو من القصة:

{ ثم ولَّى، فدخل المسجد، فقال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد، فوجده يصلِّي فقال أبو بكر: وجدته يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، فقال من يقتل الرجل؟ فقال عمر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله فدخل المسجد فوجده ساجدا، فقال: أقتل رجلا يصلي وقد

نهانا عن ضرب المصلين فجاء، فقال له النبي: مه يا عمر، قال وجدته ساجدا، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين – وفى رواية : قال عمر أبوبكر أفضل منى– ، ثم قال ﷺ: من يقتل الرجل؟ فقال علي كرم الله وجهه: أنا، فقال: أنت تقتله إن وجدته ، فذهب علي فجاء فقال له النبي ﷺ: مه يا علي، قال: وجدته قد خرج، فقال: أما إنك لو قتلته لكان أولهم وآخرهم، وما اختلف من أمتي اثنان.} و فى رواية { لوقتل هذا ما اختلف اثنان في أمتي إلى يوم القيامة }٨٧

وكان هذا الرجل [٨٨]بداية الخوارج الذين انتشروا وملأوا الدنيا إلى يومنا هذا، ولو كان الأصل قُتل واجْتُثَّ وقتها !! لما جاء الفرع.

إذاً فالباب الأعظم فى العبادات ... والذي كان عليه الصالحون والصالحات والسادات ... أن ينظر الإنسان فى نفسه!! ويغيِّر أوصافه التى لا تليق بما جاء فى كتاب الله! ولا تناسب ما كان عليه حبيب الله ومصطفاه!

---

٨٧ مصنف الصنعاني عن يزيد الرقاشى.

٨٨ وقيل أنه يدعى ذو الخويصرة أو ذو الثدية، وفى الإصابة فى تمييز الصحابة: الذي قتله علي ذو الثدية ولقصته طرق كثيرة جدا استوعبها محمد بن قدامة في كتاب الخوارج وأصح ما ورد فيها ما أخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود من طريق محمد بن سيرين أن عليا ذكر أهل النهروان فقال: فيهم رجل مودن اليد أو مجدع اليد، لولا أن تنظروا لنبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد، فسأل: أنت سمعته قال إي ورب الكعبة، وقال أبو الربيع الزهراني: أن عليا لما فرغ من أهل النهروان قال التسموا المجدع فطلبوه ثم جاءوا فقالوا لم نجده، قال ارجعوا ثلاثا كل ذلك لا يجدونه، فقال علي والله ما كذبت ولا كذبت، قال فوجدوه تحت القتلى في طين فكأني أنظر إليه حبشي عليه مربطة إحدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليها شعيرات مثل الذي على ذنب اليربوع، أخرجه أبو داود.

وهذا هو الجهاد الأعظم، جهاد الصالحين .. وجهاد العارفين:

هذب النفس إن رمت الوصول غيـر هـذا عنـدنا علـم الفضـول

تهذيب النفس ... وجهاد النفس ليس فى العبادات!! ولكن فى تغيير العـادات ... وتغييـر الأخـلاق ... غيـر المناسـبة لكتـاب بـارئ الأرض والسموات ﷻ .

وبعد ذلك كما قال حضرة النبي كما روى سيدنا عَبْدِ الله بنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ :

{ يا رَسُولَ الله إنّ شَرَائِعَ الإسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبّثُ بِهِ، قالَ: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ الله }[٨٩]

اختصر ﷺ الأمر وقال إن أهم شيء أن تكون مشغولاً بذكر الله وأنت تسير فى الطريق، وأنت نائم، وفى كل الأحوال لتدخل فى قول الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [١٩١،آل عمران]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٨٩ سنن الترمذي عن عبد الله بن بسر ﷺ، قال أبو عيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حسن غَرِيبٌ مِنَ هَذَا الْوَجْهِ، وأخرجه الإمام أحمد فو مسنده وأخرجه كثير غيره.

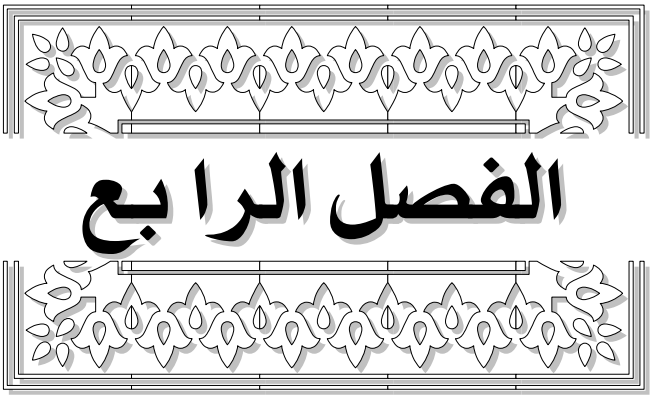

الفصل الرابع

طريق ولاية اللّه[٩٠]

- سرُّ المحبَّة
- سرُّ ولاية اللّه

٩٠ كان هذا الدرس بعد صلاة العشاء – المنيا – العكايشة مركز سمالوط يوم ٢٠١٠/٤/٦م الموافق ٢١ ربيع ثان ١٤٣١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلع علينا خلعة محبته وأكرمنا وجعلنا من أهل قربه ومودته وأعاننا بفضله على ذكره وشكره وحسن عبادته.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد نور الله الدال بالله على الله، وشمس الحق المشرقة بنور هداه، حامل لواء المحبة للأحبة يوم لقاء الله، وخافض جناحه لأحبابه ليرفعهم إلى أعلى مقامات القرب من حضرة الله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يا رب العالمين.

• سرُّ المحبَّة

ظهر فى عصرنا هذا جماعات يعترضون على أهل المحبة ويقولون أن الدين بالعبادة والإكثار من الصلاة والإكثار من الصيام والإكثار من تلاوة القرآن أما المحبة فلا طائل منها !!! ذاك ما يدعون!!

لذلك يجب علينا نحن وهم أن نرجع إلى النبي العدنان وأصحابه المباركين قدوتنا إلى يوم الدين، فسيدنا أنس بن مالك ﷺ يقول:

{ يَا رَسُولَ اللّهِ مَتَى ٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللّهِ : مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ.ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ وَلاَ صَدَقَةٍ،.وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ.

قَالَ: فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ }[٩١]

أى ستبلغ المنزلة العالية يوم القيامة وستكون مع:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٢٩الفتح]

هذا على المستوى الخاص أما على المستوى العام فعندما نظر سيدنا رسول الله لخادمه ثوبان وجد أن لونه أصفر وجسمه ناحل وضعيف وكأنه مريض فسأله:

{ يا ثَوْبَان ما غيّر لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي ضرّ ولا وجع، غير أني أذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وَحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف ألاّ أراك هناك؛ لأني عرفت أنك تُرفع مع النبيّين وأني إن دخلت الجنة كنتُ في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل فذلك حِينٌ لا أراك أبداً }[٩٢]

وانظر إلى ما يُفكِّر فيه الرجل !! فهو لا يفكر فيما هو فيه لأنه فى الدنيا مع رسول الله ... ولكنه يفكِّر فى حاله عندما ينتقل إلى الآخرة ويكون رسول الله مع النبيين والمرسلين!! ويكون هو مع العوام وفى الحالة الأولى مع سيدنا أنس أجابه رسول الله، أما ثوبان فقد أجابه الله وقال لجبريل إنزل وبشِّر هذا الرجل ومن على شاكلته وهنِّئهم وقل لهم:

---

٩١ صحيح مسلم عن أنس بن مالك.
٩٢ تفسير القرطبى

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ [النساء]

فما الذي يوصل الإنسان لدرجة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأعمال والعبادات؟

لا يستطيع أحد منا أن يصلى كصلاة الأنبياء ... أو يصوم كصيام المرسلين. هل يستطيع أحد منا أن يجاهد مثل جهاد الشهداء الذين جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم؟

هل يستطيع أحد منا أن يصبح صِدِّيقاً لأى نبي ... ويكون هو المؤيد له والمعين له والمؤازر له والمساعد له كسيدنا أبى بكر؟ وهو الوحيد الذي نال هذا المقام ﷺ؟ لا أحد !!

إذاً ... أين الطاعة والعبادة التى تؤصِّلنا لكى نكون مع هؤلاء يوم العرض والجزاء فى الجنة العالية يوم لقاء الله ﷻ؟ لا يوجد طاعة أو عبادة توصل إلى ذلك .... !!!!

لأنه عندما ننظر إلى الصلاة التى نصليها نجد أن ثلاثة أرباعها فى السهو والنسيان وتشتت الذهن والقلب والغفلة عن الرحمن ﷻ ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد وعدنا أنه سيقبلها على عِلاتها فإنه لو حاسبنا على الحضور فيها فلن يجد !!!!

وكذلك فى الصيام وفى كل الطاعات والعبادات وذلك لكثرة المشاكل التى نعانى منها – فما الذي يوصل إلى تلك المراتب العالية؟

تفضل المتفضل ﷻ وبيَّن النبي ﷺ أن الذي يوصل أي إنسان إلى مقامات النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فيكون معهم فى الآخرة وفى الجنان هو الحبُّ.

ولذلك عندما مدح الله ﷻ الأنصار الذين لا يضاهيهم أحد فى العبادة أو فى البذل والعطاء، فمن منا يأتى بواحد أجنبي ليقتسم معه منزله وأرضه وماله؟ لا أحد!!، بل إن الناس فى العصر الحالى عندما يتوارث الإخوة الأشقاء تأتى لجان لا حصر لها ولا حدَّ لها لكى تقرب وجهات النظر !!! وقد لا يستطيعون ذلك فيصل الأمر إلى المحاكم.

لكن هؤلاء جاءهم المهاجرين من بلدان شتى ومن قبائل شتى وكان كل واحد منهم –أى الأنصار– يقول: يا رسول الله أريد ضيفاً!! ولكثرة المضيفين كان رسول الله يعمل قرعة بينهم ومن تخرج عليه القرعة يفوز بالرجل المهاجر ....

وماذا يفعل معه؟ ...يأخذه ويقول: هذا بيتى أنت النصف وأنا النصف الآخر وأنت الذي تختار، وكذلك فى المال وكذلك فى الأرض وكل ذلك يتم بمحبة ورضاء تام لأن الله ﷻ شرح صدورهم للإسلام.

بل والأكثر من ذلك أنهم تركوا كلَّ ما عندهم ... والتفوا حول رسول الله يصلُّون معه ويجلسون معه ويجاهدون معه مشغولين به عن مصالحهم الدنيوية ... حتى أنهم عندما توطَّد الأمر وكثرت الفتوحات واستقرت دولة

الإسلام قالوا: نلتفت إلى مصالحنا وزراعاتنا وتجاراتنا فيقول لهم الله:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[١٩٥البقرة]

أى إياكم أن تتركوه من أجل هذه المصالح، وفى (١٢٠التوبة):

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾

ومع ذلك عندما مدحهم الله وأثنى عليهم فى كتابه هل قال: "يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة"؟ أبداً وإنما قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ – ما لهم يا رب؟

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ – أول صفة مدحهم بها هي حب من هاجر إليهم وهو رسول الله، وكذلك يحبون بعضهم البعض : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ [٩:الحشر].ليس فى صدر واحد منهم حقد على أخيه ولا حسد لجاره ولا أثرة ولا أنانية ولا غيرها من الصفات التى حذَّر منها ربُّ البريَّة ونهى عنها خير النبيين وإمام الأولين والآخرين ﷺ.. وماذا أيضاً يارب؟: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩:الحشر]، متخلقين بالإيثار إذ يفضلون إخوانهم فى الإيمان على زوجاتهم وعلى أولادهم وذلك لأنهم جعلوا التفضيل للإيمان على كل شيء فى هذه الأكوان ..

إذاً مدحهم الله أولاً بالمحبة – فهل تنفع طاعة أو عبادة بغير محبة؟ فالطاعات التى نعملها لله ومن يعمل هذه الطاعات لكى ينال رضاء الله فإن

شرط قبولها المحبة ... لأنه لو صلى واحد رغماً عنه لا تنفع صلاته! وإذا صام واحد أيضاً فى شهر رمضان وهو متضرر كما نرى الآن الذين يقولون: لماذا طال رمضان ولماذا لا ينتهى؟ فإن مثل هؤلاء ليس لهم فى درجات الصيام العلية لأنهم يصومون متبرمين وكارهين، إذاً شرط الطاعة والعبادة أن يعملها الإنسان بمحبة لله، ولذلك قال الله لنا أجمعين:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[٢٥٦البقرة]

إذ لا يجوز إكراه أحد على أي طاعة أو عبادة بل يجب أن أحببهم فى الطاعة ... فإذا أردت من ابنى أن يصلى لا أمسك له العصا لأرهبه .. أولاً أبدأ فى ترغيبه فى الصلاة وفى طاعة الله وأذكره بفضل الله عليه وأبين له محبة النبي وفضلها عليه فى الدنيا والآخرة وذلك لكى يصلى برضا وبمحبة ... وعندما أفعل معه ذلك فإنه يصلى سواء كنت موجوداً أمامه أم غير موجود – أما لو صلى خوفاً منى فلن يصلي إلا أمامي فقط ولو كنت غائباً يترك الصلاة ! بل من الجائز أن تضحك عليه نفسه وعندما يرانى يذهب ويمثل أنه يصلي!! رغم أنه غير متوضىء وذلك خوفاً مني.

إذاً لا يجوز آداء العبادة بالخوف والإكراه إذ لا بد من الإقناع والبرهان والبيان والإيضاح لكي يصلي الإنسان على محبة إن كان أبنائى أو زوجتى أو الذين أرغب فى دعوتهم إلى طاعة الله أو من تحت ولايتى، وهذا هو المنهج السديد الذي بينه الله ووضحه رسول الله ﷺ.

وكذلك الأمر فى أى حكم من أحكام الشريعة المطهرة، فإذا أردت مثلاً من زوجتى أن ترتدى الحجاب لابد وأن أقنعها بالحجاب! وأبين لها

منزلتها ودرجتها عند الله إن فعلت ذلك لكى تفعل ذلك بمحبة، أما إذا فعلت ذلك لكى ترضيني فإنها تتركه أثناء سفرى وخروجى من المنزل وعندما تشعر وتعلم بموعد رجوعى ترتديه !!!

فهل يجوز ذلك؟ لا، وذلك لأن الله يريد من أى رجل من المسلمين والمؤمنين ألا يعمل عبادة او طاعة إلا بمحبة ورغبة وعن إقتناع وبرهان وذلك لكى يستحق الأجر والثواب عند حضرة الرحمن ﷻ، حتى فى الأعمال العادية التى لا ينتبه بعضنا إليها، مثلاً: ... أنا رجلٌ أحبُّ الضيوف .... وأريد أن أعمل بقول رسول الله ﷺ :

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفاً تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وبُطُونُها مِنْ ظُهُورِهَا. فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فقال: لِمَنْ هِيَ يا رسولَ الله؟ فَقَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ،... وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ،... وَأَدَامَ الصِّيَامَ،... وَصَلَّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ } [٩٣]

لكى آخذ هذه الدرجة، وأدخل هذه الغرف التى قال الله فيها فى القرآن: ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾[الزمر: ٢٠] إنها منزلة عظيمة فى الجنَّة لذا يجب ان أُحَسِّن كلامى مع الخلق وأولهم أهلى:

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ } [٩٤]

فلا أحسن الكلام مع الأنام وعندما أذهب إلى أهلي أغيِّر اللهجة

---

٩٣ سنن الترمذي وابن حبان عن علي.
٩٤ ابن عساكر عن على.

وأتكلم فيما يؤرق ويزعج !! وبذلك أكون غير سوي!.

وإذا أردت أن أُطعم الطعام وأدعوا الضيفان فمن الذي يصنع الطعام هل أنا أم زوجتى؟ بالطبع زوجتى، لذا يجب أن أوضح لها هذه الصورة النورانية وأحببها فى هذه المنزلة الجنانية لكى تصنع الطعام وهى راضية محبة وتأخذ هذا الأجر والثواب !!

ولو لم أوضح لها هذه الصورة وصنعت الطعام وهى متبرمة لكى ترضينى وحسب لا لترضى الله ﷻ وتخرج بعد ذلك وتشكونى للخلق قائلة: إنه يأتيني بالضيوف كثيراً وقد تعبت!! فعندها قد ضيَّعتَ عملها وحرمتها من الأجر والثواب وذلك لأننى لم أُدْخِلها معى فى المنهج! ولم أجعلها تعمل هذا العمل بمحبة!!، وهذا هو منهج رسول الله ﷺ.

• سرُّ ولاية الله

كل الأعمال يجب أن تسبقها المحبة لكى ينال العمل القبول من عند من يقول للشيء كن فيكون، بل إن أعلى درجات القرب عند الله وهى ولاية الله والذين يقول فيهم الله ﷻ:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس]

كيف وصل هؤلاء إلى منزلة الكرامة والولاية؟ كيف حفتهم هذه العناية؟ نسأل الخبير الذي أرسله لنا العلى الكبير وقد بين ﷺ أوصافهم فى الدنيا وأحوالهم ومنزلتهم ودرجتهم فى الدار الآخرة كما فى الحديث:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، فَجَثَى رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، أَنْعِتْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا: يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ النَّبِيِّ بِسُؤَالِ الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ – أى من بلاد شتى ومتفرقة – لَمْ تُصَلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُون عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُوراً، وَثِيَابَهُمْ نُوراً، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَفْزَعُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ثم تلى قول الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [٩٢-٩٤يونس]} [٩٥].

بالله عليكم عندما يقول حضرة النبي من يريد أن يكون ولياً من أولياء الله عليه أن يصاحب جماعة من بلدان شتى فى الله ويزورهم لله ووضح أن ذلك هو سر ولاية الله، هل نقلع عن هذا العمل ونهتم فقط بالصلاة والصيام والزكاة وذلك لأن ديننا كله أساسه وصلبه يرتكز على الحب فى الله ﷻ – ويبين الله ﷻ من يحبهم فماذا نفعل كي يحبنا الله؟ يقول حضرة النبي خذوا هذه الرسالة من الله والتى يقول فيها:

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي – لمن يا رب؟ – لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ. والمُتَجَالِسينَ فِيَّ. والمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ. والمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ } [٩٦]

أي وجب حبُّ الله للذين يحبون بعضهم فى الله ويتزاورون فى الله ويجالسون بعضهم فى الله ويبذلون لبعضهم إن كان طعاماً أو غيره على حسب الوسع والإستطاعة فى الله ولله ﷻ وكلمة فى الله أى لا ينتظر رداً، فإذا كانت المحبة دنيوية مثلاً يقول الأخ لأخيه: لقد أتيتك يا فلان لكنى لن أزورك ثانية حتى تزورني! وهذه المحبة ليست لله ولا فى الله وذلك لأن الذي يزور فى الله ينتظر الأجر من الله ولا يريد رد الزيارة وإلا كان العمل لغير الله!! وإذا زرت أخى فى الله فإن حضرة النبي يقول:

٩٥ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
٩٦ رواه الإمام احمد ومالك عن أبى إدريس الخولانى.

{ إِنّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ كَمَا وَصَلَهُ فِيكَ فَصِلْهُ }[٩٧]

ينشدون هذا النشيد ويسمعهم اهل الملكوت الأعلى، وإذا ذهبت إلى أخيك وأنت مشتاق لكى تزوره وتراه وتطمئن عليه فيخرج لك الله شيك بأجر، ما مقدار هذا الأجر؟ نقول كما ورد عن الحبيب المصيب:

{ نَظَرُ الرّجُلِ إِلَى أَخِيهِ عَلَى شَوْقٍ – وفى رواية : حُبّاً لَهُ وَشَوْقاً إِلَيْه – خَيْرٌ مِنَ اعْتِكَافِ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هذَا }[٩٨]

هذا أجر النظر فى وجه أخٍ واحد أما إذا رأيت ثلاثين أخاً فإن كل نظرة لواحد منهم بشيك منفصل، ومع أن الناس تتحمل مشقة السفر فى رمضان للإعتكاف فى مسجد سيدنا رسول الله عشرة أيام! إلا أن مجرد النظرة فى وجه أخ فى الله أفضل من سنة اعتكاف فى مسجد رسول الله.

أما المصافحة فلها أجرها، فعندما أصافح أخاً لى فى الله قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ اخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبَهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ الوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِيْ يَوْمِ رِيْحٍ عَاصِفٍ وَإِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوْبَهُمَا مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ }[٩٩]

فأين الطاعات والعبادات التى توصل إلى هذه المنازل والدرجات،

---

٩٧ (طس) عن أَبي رزين الْعقيلي رضيَ اللَّهُ عنهُ جامع المسانيد والمراسيل .
٩٨ الحكيم عن ابن عمرو، جامع المسانيد والمراسيل، والثانية فى كنز العمال وكشف الخفاء عن ابن عمر
٩٩ رواه الطبرانى عن سلمان.

هذا بخلاف الأمر الهام الذي بدأنا به هذا الحديث فإن كنت أطمع فى منزلة عالية فى الجنة ونفسي تضحك عليَّ ولا أستطيع أن أعمل الأعمال التى توصلنى لتلك المنزلة، فماذا أفعل؟ قال: عليك أن تبحث عن واحد من أهل هذه المنزلة وتحبه وتصاحبه فى الله، لماذا؟ ... قال ﷺ فى حديثه:

{ من أحبَّ قوما على أعمالهم حُشر يوم القيامة في زمرتهم فحُوسبَ بحسابهم وإن لم يعملْ أعمالهم.}[100] وقد سأله ﷺ أحدهم: **{ يَارَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا، وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ – لم يعمل بعملهم– ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ }**[101]

وهذا ما جعل آباءنا الذين كانوا عقلاء وأذكياء وكذلك سلفنا الصالح يسارعون إلى الصالحين ... فقد كانوا يقولون لا نستطيع أن نعمل مثلهم لكن عندما نحبهم يرفعنا الله لدرجتهم وحشرنا معهم، وذلك لأن الله يوم القيامة سيأتى بالكافرين واحداً تلو الواحد ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام:٩٤] ، أما نحن فكل جماعة كانوا يحبون بعضهم البعض يدخلون مجتمعين﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[مريم:٨٥] أى جماعة مع بعضهم، أما عند الجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[الزمر:٧٣]، أي جماعات.

ولذلك تروى لنا الأخبار التى تصدقها الدلائل والآثار مشهداً سيحدث فى الآخرة إذ كل جماعات المتقين والمحبين يتممون ويطمئنون

---

١٠٠ الخطيب عن جابر.

١٠١ عن عَبْدِاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، المسند الجامع.

على بعضهم أمام باب الجنة فيقول واحد منهم: يا رب أين أخى فلان؟ يقول: إنه لم يعمل بمثل عملك، فيقول: يا رب إنى كنت أعمل لى وله، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة.

إذاً سيكون المؤمنون مع بعضهم البعض عند لقاء الله وعند دخول جنة الله جل فى علاه – والدرجة التى ارتفع بها الأخ قد اكتسبها بالحب فى الله والأخوة فى الله، ولذلك يقول حضرة النبي:

{ أتدرون أي عرى الإيمان أوثق؟ قالوا : الصلاة، قال: إن الصلاة لحسنة وما هي به، قالوا: الزكاة، قال: إن الزكاة لحسنة وما هي به، قالوا: الحج، قال: إن الحج لحسن وما هو به، قالوا: الجهاد، قال: إن الجهاد لحسن وما هو به، فلما رآهم يذكرون شرائع الإسلام ولا يصيبون، قال لهم: أَوْثَقُ عُرَى الإِيْمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ }[١٠٢]

لأنه لو وجدت المحبة! فما المشاكل التى تظل موجودة بين المسلمين؟ فالمساجد مملوءة والحمد لله بالمصلين ... وجميع المسلمين يصومون شهر رمضان ... لكن هل تمنعهم الصلاة عن قطيعة الأرحام! وعن التنازع والخصام! وعن الغيبة وعن النميمة؟ كلا، كذلك هل يمنعهم صيام رمضان عن ارتكاب الذنوب والآثام؟ .. كلا !!!

---

١٠٢ عن البراء بن عازب تعظيم قدر الصلاة محمد بن نصر النروزي، أما الحديث بسؤال رسول الله وإجابته فقد ورد بالكثير مثل مصنف ابن أبى شيبة عن البراء بن عازب.

إذاً ما الذي يمنع الذنوب والآثام؟ .. إذا وجدت بين المؤمنين والمؤمنات محبة الملك العلام!! ... فتجد نتيجة ذلك.. هذا يتغاضى عن أخيه ..هذا يستر أخاه إذا وجده على ذنب أو معصية فينصحه سراً ولا يشنِّع عليه، هذا يحاول أن يجمع أخاه على الله إذا وجده بعيداً عن الله !! والكل يسعى لجمع بعضهم على حضرة الله ... فتصبح الأمور بين المؤمنين كلها مودَّةٌ ومحبَّةٌ وكلها صلةٌ وكلها تقرَّبٌ إلى حضرة الله جلَّ فى علاه، فعندما تنتشر المحبة تنتهى الأمراض الإجتماعية الموجودة الآن.

ولذلك عندما كانت المحبة موجودة وكانت الناس تذهب إلى الصالحين ويحبون بعضهم فى الله، كانت الروابط قوية ومتينة .. ونجد أناساً مؤثرين يستطيعون حل المشاكل ويرتدع الناس بسببهم ولا يُقْدمون على النزاع والصراع! أما الآن لا يكبُر لأحد فزادت المشاكل! حتى لجان الصلح إذا وُجدت تجد مشقة بالغة وعنت فى التقريب بين المتخاصمين!! ولم يكن يُلَيّن الناس فى الماضى إلا المحبة التى كانت موجودة فى القلوب.

فنسأل الله ﷻ أن يضع فى قلوبنا حبه وحب كتابه وحب نبيه وحب الأصفياء والمقربين من عباده وأن يجعل حالنا فى هذه الحياة الدنيا فى دوام الإقبال عليه وحسن الثناء عليه والرغبة العظيمة فى لذة النظر إليه وأن يجعلنا دوماً من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين وأن يوفقنا للمنهج القويم الذي جاء به سيد الأنبياء والمرسلين وأن يصلح قلوبنا ويملأها بالتقى والهدى والعفاف والغنى حتى نلقاه ونحن فى شدة الشوق إلى لقاء حضرته ويختم لنا بالإسلام والإيمان أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

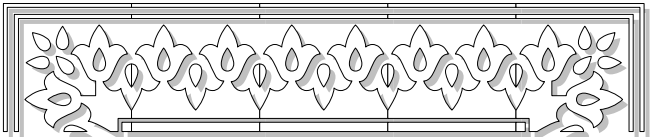

الفصل الخامس

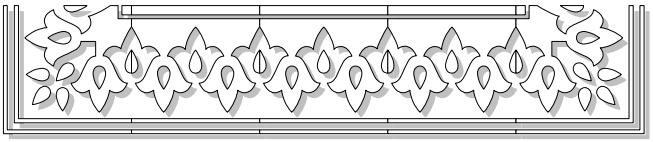

روضاتُ الجنَّات فى الدُّنيـــــا[١٠٣]

- طاعة اللّه والرَّسول
- روضات الجنَّات
- تنزُّل الرحمات والبركات

١٠٣ كان هذا الدرس بعد صلاة العشاء بمسجد الشيخ أبوبكر – مطاى – المنيا يوم ٢٠١٠/٤/٥م الموافق ٢٠ ربيع ثان ١٤٣١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوانى وأحبابي القراء الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين، أختار لكم فى هذا الفصل الأخير آية مباركة كنا استمعنا إليها فى حفلنا فى هذه الليلة المؤرخة ببداية الفصل .. آية من القرآن فيها إجابة شافية كافية وافية وختام فصلٌ فى هذا الموضوع المبارك الذى نتناوله فى كتابنا هذا "**نوافل المقربين**"، بل فيها شفاءٌ لكل ما يشغل بالنا وتفكيرنا من أمور شتى فى وقتنا هذا، وصدق من قال عن هذا البيان المنير [٨٢:الإسراء].:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

ونحن وقد أوضحنا إخوانى وأخواتى الكرام بما لايقبل الشك أن النوافل المقدمة عند رب العالمين هى كل عمل مشروع يصبُّ فى مصلحة الخلق أجمعين! وكل أمر محمود يساعد على التقارب والترابط والتواصل والتراحم والتكافل بين جماعات وفرق المجتمع وبلاد المسلمين !!!

فدعونا هنا نتناول الموضوع من طريق آخر وكما يقول الحكماء من أهل الطب والدواء .. نعالج جذر ومنبت الداء ليحصل الشفاء!!

الناس كلها تشكو؛ منهم من يشكو من الفقر أو المرض! ومنهم من يشكو من الهم والغم أو النكد! ومنهم من يشكو عدم طاعة الزوجة أو عصيان الولد! .. شكاوى لا حصر لها ولا عدَّ! والكل يقول إرحمنا يا واحد يا أحد! وحلَّ لنا هذه المشاكل من عندك بالمدد!!، والإجابة:

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٣٢آل عمران]

إجابة شافية كافية وافية .. لحل كلِّ المشاكل إن كانت مشاكل فردية! أو مشاكل أسرية! أو مشاكل إجتماعية! أو مشاكل إقتصادية!.

• طاعة الله والرسول

كلُّ المشاكل حلُّها فى كلمتين من سرِّ هذه الآية المباركة:

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [١٣٢آل عمران]

وكلمة "لعل" فى القرآن إذا ذكرت فى آيات الرحمة ليست بمعناها اللغوى (بمعنى الترجى وهو جواز أن ترحمون) لكن كلمة لعل فى القرآن هنا لتأكيد الرحمة– مثل قوله فى أية فرض الصيام ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١٨٣البقرة] أى لتتقون وليس لمجاز التقوى بالصيام ولكنه أمر محقق أن الصيام يثمر التقوى للصائمين– وكذلك هو أمرٌ محققٌ أن رحمة الله وعناية الله وتوفيق الله ورعاية الله تنزل على الطائعين لله ولرسول ربِّ العالمين ﷺ.

ولذلك كان حرص حضرة النبي على تربية أصحابه على الطاعة التامة لله ولرسوله، ولكننا نحن نطيع الله ... فيما أحبته النفس ونتكاسل عن الطاعة فييما لا تحب!! وبالطبع نتلمس لأنفسنا الأعذار و نبرِّر الإصرار على عدم طاعة الله وعلى مخالفة رسول الله؛ بتبريرات نفسية وتأويلات هوائية! ولذلك زادت مشاكلنا فى نفوسنا وفى بيوتنا و مجتمعنا ودولنا!! .. لأن طاعة الله ورسوله صارت مربوطة بأهوائنا!! بينما هى أمرٌ قاطعٌ لا مجال فيه للميل أوالهوى .. أمرٌ لابدَّ فيه من الجزم والحزم .. ولا يصحُّ أن يترك لتبرير التأويل ونوازع الهوى أو شطحات الفكر!!!

وانظر إلى طاعة الصحابة الكرام .. التى بلغوا بها فى الدنيا كلَّ مرام .. وبلغوا بها فى الآخرة عند الله ﷻ أعلى مقام .. فكُّل ما كانوا يتمنونه فى الدنيا جاءهم صاغراً ... لماذا؟ لأنهم أطاعوا الله ورسوله .. فبعد أن كانوا فقراء لا يجدون من الدنيا شيئاً! أصبحوا أغنياء وحكاماً وأمراء وعلماءاً وفقهاء، ومعهم كل ما تطمع إليه النفس البشرية من هذه الدنيا! وذلك لأنهم أطاعوا الله وأطاعوا رسوله ﷺ، وخذوا مثالا على طاعتهم المطلقة له ﷺ فى حادثتين متشابهتين نوردهما معاً لتأكيد السلوك:

{ لمَّا اسْتَوَى رسولُ الله ﷺ يومَ الجُمُعَةِ على المِنْبَرِ قالَ: اجْلِسُوا ، فَسَمِعَ ابنُ مسعودٍ فَجَلَسَ على بابِ المسجِدِ فَرَآهُ ﷺ فقالَ: تَعَالَ يا عبدَ الله بنَ مسعودٍ }[١٠٤] **وورد :{ أن النبيَّ ﷺ جلسَ يوم الجمعة على المِنبر ، فلما جلس قال: اجْلِسُوا، فسمع عبد الله بن رواحة قول رسول الله ﷺ اجْلِسُوا؛ فجلس في بني غَنْم، قيل: يا رسول الله ذاك ابن رواحة جالس في بني غَنْم سمعك وأنت تقول للناس اجْلِسُوا؛ فجلس في مكانه }**[١٠٥]

وروى أنهم ذهبوا لإبن رواحة ﷺ بعدها وسألوه لما هو جالس مكانه ولم يبرح ؟ قال متعجباً من سؤالهم!: إنى سمعت أمر النبي ﷺ أن إجلسوا! ولم أسمعه يأمر بالقيام فكيف أقوم ولم أسمع الإذن من حضرته!

---

١٠٤ عطاءٍ عن جابرٍ سنن الكبرى للبيهقي

١٠٥ رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة

إنه حرص شديد ...، بيّن الله ﷻ به فضل هذه الأمة فى السمع والطاعة لله ورسوله ... وقد كانت الأمم السابقة على أمة نبينا ﷺ يحاسبهم الله ﷻ على الخاطرة التى تخطر على النفس !! وعلى الهمِّ بالفعل إن كان حسنة أو سيئة، فنزل قول الله ﷻ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[٢٨٤البقرة]

فقال الصحابة المباركون: يا رسول الله كيف يحاسبنا الله على شيء هممنا به ولم نفعله؟ فإذا بالحريص علينا "حريصٌ عليكم" ، و"الرؤوف الرحيم" ﷺ يقول لهم:

{ لا تَقُولُوا كما قال أَهْلُ الكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا }[١٠٦] فقالوا كما قال الله عنهم :

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، فأنزل الله خصوصية لهذه الأمة المحمدية ومزية ليست لأى أمة سابقة، قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[٢٨٦البقرة]، فأصبحت خصوصية لأمة رسول الله ﷺ، فبشَّرهم الحبيب وقال لهم مبيناً لكلام الله:

{ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كَتَبْتُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمائَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعمَلْهَا، كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا، كَتَبْتُهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً }[١٠٧]

---

١٠٦ صحيح مسلم وأحمد وابن حبان عن أبي هريرة.
١٠٧ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة.

فانظروا إلى فضل الله على الأمة المحمدية ببركة الطاعة وقد كانت تحاسب الأمم السابقة على الهم بالمعصية وتُكتب عليهم سيئة أما الأمة المحمدية فصارت إلى: **وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعمَلْهَا، كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا، كَتَبْتُهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحدة**، وهذا ببركة ﴿ وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة].

إذاً أدبهم النبي ﷺ على السمع والطاعة لله ورسوله حتى أن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: {كنا إذا سمعنا قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أصغينا بآذاننا وانتبهنا بعقولنا وأذهاننا لأن الله ﷻ يريد أن يأمرنا بأمر وقلنا لبيك اللهم وسعديك – ولبيك تعنى إجابة لك يا رب – فإذا كان أمر سارعنا إلى تنفيذه وإذا كان نهى سارعنا فى تركه رغبة فى رضاء الله ﷻ}.

فإذا مشينا على السمع والطاعة لله ولرسوله حُلَّت جميع المشاكل التى بيننا أو التى عندنا أو التى فى صدورنا أو التى فى بيوتنا أو التى فى مجتمعنا لأن الله ﷻ لا يطلب منا غير السمع والطاعة لحضرته ولنبيه ﷺ.

• روضات الجنَّات

ثم يفتح الله ﷻ لنا بعد ذلك باباً أعلى وأرقى وأغلى... ليس فيه حلُّ المشاكل وفقط .... وإنما لمن يريد أن يعيش فى الدنيا وكأنه فى الجنة! فمن يريد؟ .... هل يستطيع الإنسان أن يعيش فى الجنة .... وهو فى دار الهمِّ والغمِّ والنكد والفقر والمرض؟ ... هل يمكن ذلك؟ ... نعم!

كيف؟ ... نعم! المؤمن إذا استجاب لأمر الله جلَّ فى علاه:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران]

وكلمة سارعوا .... أى سارعوا وأنتم فى الدنيا! .. وذلك لأن الآخرة ليس فيها مسارعة إلى الجنة ... ولكن ترتيبٌ رباني وتقديرٌ رحمانى لأهل الجنة ! ... فمثلاً ... منهم من تأتيه الجنة وهو فى مكانه: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ٣١ ﴾ [ق]، وأزلفت أى تقربت ومشت وتحركت والجنة فى الآخرة تتحرك وتمشي وتفهم وتعلم ما يدور فى بال الإنسان وخاطره فلا تنتظر حركة اللسان لأنها تأتمر بما يدور فى القلب وفى الجنان بأمر الرحمن ﷻ، وهذا فى الآخرة! فكيف بتفسير الآية فى الدنيا كيف بأزلفت ونحن فى الحياة الدنيا!!؟؟، وقد قال ﷺ:

{ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى أَرْبَعَةٍ عَلِيَ وَسَلْمَانَ وَأَبِي ذَرَ وَعَمَّارَ بْنِ يَاسِرٍ }[١٠٨]

وهؤلاء فى زمن النبوة، وكذلك فى كل زمان هناك من تشتاق إليهم الجنة، والآية ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [٣١ق] هى أزلفت فى كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها! إذاً! فأين الجنة التى أزلفت وإلى أين أسارع إليها؟ .. إنها جنَّةٌ هنا فى الدنيا نسمعها فى قول الحبيب ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ – وأنتم هنا فى الدنيا – بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا –

أى اجلسوا وأطيلوا الجلوس واستمتعوا ولا تسارعوا إلى الخروج وإلى الحركة

١٠٨ ابن عساكر عن حذيفة.

– قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ – واسمعوا إلى حديث رسول الله وتدبروه – قَالَ: حِلَقُ الذكْرِ – وفى رواية: قال: مَجَالِسُ الْعِلْمِ، وفى رواية:قال: حلق القرآن }[١٠٩]

حلقات الذكر – حلقات القرآن – حلقات العلم –كل هذه رياض من رياض الجنة، إذاً فنحن الآن فى مجلس العلم هذا فى روضة من رياض الجنة ولسنا فى الدنيا، ولذلك فإن هذا المجلس يقول فيه ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }.[١١٠]

هذه روضةٌ من رياض الجنَّة هنا فى دار الدنيا:

- إن كانت مجلس ذكر.
- وإن كانت مجلس علم فهو روضةٌ من رياض الجنة.
- وإن كان مجلس قرآن فهو روضة من رياض الجنة ..
- وإن مجلس صلح أو أياً من هذه المجالس المباركة !! ..

ولذلك دخل النبي ﷺ مسجده المبارك فوجد فيه روضتين من رياض الجنة ... مجلس ذكر ... ومجلس علم ..أى أن جماعة من أصحابه

١٠٩ رواه أحمد والترمذي والطبراني فى الكبير عن أنس بن مالك.
١١٠ جامع الأحاديث والمراسيل (د) عن أبى هريرة.

يجلسون منهم جماعة يذكرون الله، ومنهم جماعة يتدارسون العلم:

- فلم يعترض أحدهما على الآخر!!
- ولم يُسيئوا إلى بعضهم البعض بالقول!! أو التلميح!!.
- ولم يقل أحدهما للآخر نحن أفضل منكم!!
- ولم يقل أحدهما للآخر أيضاً ماذا تفعلون؟!!
- ولا سألوهم ما الدليل والبرهان عل فعلكم؟!!
- ولا خرجوا وتحدثوا عنهم بسوء!! .. ولا .. ..ولا ..

أترون كيف كانوا!!!

كانوا كذلك لأنهم كانوا مسلِّمين للنبي العدنان ﷺ ... روى سيدنا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ﷺ قَالَ:

{ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ. فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ. فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ. إِحْدَاهُمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ. وَالأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ. فَقَالَ النَّبِيُّ: كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، هؤُلاَءِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ. وَهؤُلاَءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّماً، فَجَلَسَ مَعَهُمْ }[١١١]

دخل النبي فوجد حلقة تذكر الله وحلقة تتدارس العلم، الذين

١١١ سنن ابن ماجه وغيرها عن عبدالله بن عمرو

يتدارسون العلم فى محاضرة نظرية! والذين فى حلقة الذكر فى محاضرة عملية! .. تطبيقاً للعلم الذي سمعوه فى المحاضرة النظرية !! ولذلك قال حضرة النبي : { **كلا المجلسين على خير على خيرٍ** } أى لا يعترض أحد على الآخر – { **وإنَّما بُعِثْتُ معلِّماً** }[١١٢] وجلس مع من هم فى حلقة العلم .. وذلك لأنه قال: { **بالتعليم أرسلت** }[١١٣].

وهنا ياإخواني القراء الأفاضل وأخواتى الكريمات .... أوجِّهُ أنظاركم إلى سرٍّ عظيم من أسرار الراحة فى هذه الحياة... وأرجو بكل شدة أن تنتبهوا لما سأقول .... وأن تفتحوا عيون القلوب ....:

فى الزمن القريب لما كانت مجالس العلم فى البلاد قائمة ودائمة، ومجالس القرآن فى كل مكان ملازمة، كانت الملائكة تتنزل فى كل مكان وزمان لكى تحضر هذه المجالس التى حبَّب فيها الرحمن وأسَّس قواعدها النبي العدنان – وكما قلت فإن هؤلاء تغشاهم الرحمة ... وكانت رحمة الله تعالى تتنزل فى كل الأوقات وبجميع المحلات على أهل هذه الجلسات:

- فكانت البركات تتنزل من السماء على الأرض!!.
- وكانت أبواب السماء مفتوحة للسائلين!!.
- وأبواب الإجابة مفتَّحة على مصراعيها للداعين!!.
- ويرفع الله بهذه المجالس الهمَّ عن المهمومين، والغمَّ عن المغمومين، والكرب عن المكروبين !!.

---

١١٢ سنن الدارمي عن عبدالله بن عمرو.
١١٣ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى ومفتاح دار السعادةلإبن القيم الجوزيه.

- فكانت مشاكل المسلمين والمؤمنين قليلة!!

لأن الله كان يفرِّج بهذه المجالس عن المسلمين والمؤمنين..

بل كان المسلم حتى إذا انتابه همٌّ أو غمٌّ تسبب له بضيق فى النفس .. أو قلق فى الصدر .. او أزمة فى الجسم .. عندما يَحْضُر إلى هذه المجالس أو يأخذه إخوانه إليها وكلنا كان يعرف ذلك....:

يُذهب الله عنه كلَّ عناء وكلَّ همٍّ ويجعله فى روح وريحان .. ورضا ورضوان .. ويعيش حياته فى أمان.

لماذا؟ لأن الله ﷻ حفظه وأهله بحضور هذه المجالس المباركات من كل المشاكل التى نراها الآن من أمراض نفسية! أوعصبية أوجسمانية! والتى سببها البعد عن هذه المجالس النورانية الإلهية ...

هل وضح هذا السرُّ ياإخوانى ... أعرفتم سبب الشقاء والبلاء وزيادة الوباء .. أو كما نقول فى مجالسنا سبب غضب السماء؟!!

للأسف فقد استبدل أهل هذا الزمان المجالس النورانية التى هى من رياض الجنة الربانية .. استبدلوها:

- بمجالس السوء !!
- بمجالس اللهو واللعب!!
- بمجالس الطرب! والمغنى !
- ومجالس المخدرات! والمسكرات !!
- ومجالس الغيبة والنميمة والقيل والقال!!

- ومجالس السبِّ والشتم واللعن والمهاترات.

فهل ينتظرون أن تنزل رحمة الله بعد ذلك على أهل هذه المجالس؟ كيف!! كيف ياأيها القراء الكرام أتباع النبى عليه الصلاة والسلام .. إذا كان حبيبكم يحذِّر وينبِّه جميع الأنام إلى يوم الزحام ويقول:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ الله؛ إِلاَّ كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ ذٰلِكَ المَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً }[١١٤]

أي أن أحداً فى المجلس لم يذكر حضرة الله – ولا حول ولا قوة إلا بالله– ولم يقرأ أحدٌ فيه آية من كتاب الله ... ولم ينبه أحدٌ الحاضرين بحديث من أحاديث رسول الله ... بل إن المجلس كله غيبة ونميمة وقيل وقال أو لهو وسفهٌ وشطط .. ناهيك عن المحرمات الأخرى المعروفة فهل مثل هذه المجالس تقربها الملائكة؟ أو تتنزل عليها الخيرات والبركات والرحمات!!! كلا، إذا كانت الملائكة كما يقول النبي ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ فَيَتَبَاعَدُ الْمَلَكُ عَنْهُ مَسِيرَةَ مِيلٍ مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ }[١١٥]

وهذا من كذبة واحدة! .. إذاً فالملائكة التى معك ترغب دائماً فى الأماكن الطيبة والرائحة العطرة الطيبة، لماذا لا يدخلون أماكن النجاسات؟ لأنهم يريدون دوماً شمَّ الروائح الطيبة .. بل وعندما ينتقل الإنسان إلى جوار

١١٤ رواه أحمد عن أبي هريرة.
١١٥ الخرائطي فى مساوئ الأخلاق عن ابن عمر.

الله– وكان مثلكم إن شاء الله – فإن الملائكة تقول: اللهم ارحم فلاناً فإنه كان لا يُدخلنا إلا الأماكن الطيبة ولا يُسمعنا إلا الكلمات الطيبة ويشهدون له عند الله، وورد:

{ إِنّ اللَّهَ تَعَالى وَكَّلَ بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ المَلَكَانِ اللَّذَانِ وُكلاَ بِهِ: قَدْ مَاتَ فَأَذَنْ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلى السّمَاءِ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ... سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلاَئِكَتِي يُسَبحُونِي فَيَقُولاَنِ: أَفَنُقِيمُ فِي الأَرْضِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ: أَرْضِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبحُونِي، فَيَقُولاَنِ: فَأَيْنَ ؟ فَيَقُولُ: قُومَا عَلى قَبْرِ عَبْدِي؛ فَسَبحَانِي، وَاحْمِدَانِي ...وَكَبرَانِي وَهَللاَنِي، وَاكْتُبَا ذٰلِكَ لِعَبْدِي إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[١١٦]

وعندها فإن الملائكة هى التى تعمل عندك! ولك تُسبح وتذكر وتحمد الله وهى قلوب طاهرة وأعين طاهرة يقول الله ﷻ عنهم:

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم:٦]

فتسبيحهم لنا أفضل من تسبيحنا آلاف السنين ... وهم يجلسون عند قبورنا إلى يوم الدين!!!وهو فضل الله ﷻ لنا أجمعين ....

١١٦عن أنس بن مالك، رواه المروزي فِي الْجَنَائز، وأَبُو بكر الشَّافعِي فِي الْغَلاَنِيَّات وأَبو الشَّيخ فِي الْعَظَمَةِ، هب، والدَّيلمي، وأَوردهُ ابْنُ الْجُوزِي فِي الموضوعات فَلَمْ يُصِبْ (جامع المسانيد والمراسيل).

• تنزُّل الرحمات والبركات

هذه المجالس فيها روضات الجنات .. لذلك تتنزل الرحمات على أهل البلد التى بها هذه المجالس .. تتنزل عليها فى زراعاتها وضروعها وتجاراتها ... وكذلك تتنزل عليها فى أقواتها وفى أجسادها وفى أولادها وفى كل شيء تتنزل البركات وتدخل فى قول الله:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٩٦الأعراف]

ولذلك رأينا سلفنا الصالح ﷺ كانوا حريصين على دخول المسجد قبل الفجر بساعة ...:

- منهم جماعة يقرأون ورد السحر لسيدي مصطفى البكرى مثلاً .... أو غيره من الأوراد ...
- ومنهم من يتهجد!.
- ومنهم من يصلى على حضرة النبي!.
- ومنهم من يستغفر الله ليدخل فى قول الله: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران]
- ومنهم من يذكر باسم من أسماء الله.
- وكل واحد منهم يشتغل بطاعة الله ﷻ .

وهؤلاء يقول فيهم حضرة النبي عن حضرة الله:

{ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنِي لأَهُمُّ بِأَهْلِ الأَرْضِ عَذَابًا، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِي، وَالْمُتَحَابينَ فِيَّ، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَذَابِي عَنْهُمْ }[117]

إذاً بسر طاعة هؤلاء كان الله يرفع ويصرف العذاب:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال]

هذا لأهل البلدة جميعاً!! أما الذين يُحيون هذه الأوقات بالطاعات، والذين يصرف الله من أجلهم العذاب عن أهل البلدة ... فهؤلاء يكرمهم الله هم وأولادهم وذرياتهم إلى الطبقة السابعة .. كما ذُكر فى القرآن والسنة .. فقد أرسل الله نبياً كليماً ووليّاً كريماً وذهبوا فى سفر طويل إلى بلدة! لأن هذه البلدة كان بها أطفال صغار كان جدهم السابع رجلٌ صالحٌ: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، فأرسلهما الله لكي يقيما جداراً فوق كنز لهؤلاء الأطفال تحت هذا الجدار حسبة لوجه الله حتى: ﴿ يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢] وذلك كله لصلاح جدهما السابع كما ورد بالحديث.

إذاً من يواظب على هذه الروضات الجنانية ... ياهناه... فإنه يعيش فى الجنة وهو على ظهر الدنيا ...

---

١١٧ جامع الأحاديث والمراسيل (هب) عن أنس ﷺ.

فيأخذ أوصاف أهل الجنة:

﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[الرعد]

أى يتكفل الله ﷻ بأرزاقه التى يحتاج إليها!! إن زادت زادها !! ولا يحوجه إلى أحد من خلق الله حتى يلقاه، وإياك أن تقول من أين؟

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق]

ويجعل الله ﷻ هذا الإنسان فى روح وريحان يقول فيه النبي العدنان ﷺ:

{ إِنَّ لله ضَنَائِنُ مِنْ خَلْقِهِ يُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ، فإِذَا تَوَفَّاهُمْ تَوَفَّاهُمْ إِلى جَنَّتِهِ، أُولَئِكَ تَمُرُّ عَلَيْهِمُ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ وَهُمْ فِيهَا فِي عَافِيَةٍ }[118] وقوله : { طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ }[119]

والفتن هى أن الناس تشتكي .. منهم من يبكي ويولول!! ومنهم من يشكو الخالق إلى الخلق!! ومنهم من تأتيه شدات عصبية وأمراض نفسية وأحوال جسمانية لا عدَّ لها ويعجز الطب فى شأنها!!

أما المخلصين فلا شأن لهم بكل ذلك!! لأنهم منها فى عافية لأنه كلما ضاقت عليهم الأمور يتولاهم اللطيف بلطفه فيزيل الشرور ويفرِّج عنهم هذه الأمور .. لأنهم عملوا بقول حبيب الله ومصطفاه:

---

١١٨ رواه الطبراني فى الكبير والأوسط عن ابن عمر.
١١٩ جامع الأحاديث والمراسيل (حل) عن ثوبان.

{ اِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ }[١٢٠]،
{ تَعَرَّفْ إِلى الله فِي الرّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشّدَّة }[١٢١]

فلا يتخلى الله عنه أبداً وهو الربُّ الكريم فى أى شدة أو معضلة بعنايته وولايته .... لكن إن تكاسلت! وتباطأت! وقلت إننى مشغول بكل الأمور التى ذكرناها !! هل هذه حجَّةٌ تنفع عند الله؟ .. لا!!

لأن مثل هؤلاء الغير منضبطين فى الإيمان! عندما ذهبوا إلى حضرة النبي وسألهم: لماذا لا تحضرون معنا روضات الجنان هذه التى تشمل حلقات العلم أو حلقات الذكر أو حلق القرآن؟ قالوا: أعذرنا لأنه قد:

﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾[١١الفتح] فقال الله له: لا، لأنهم: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾[١١الفتح].

فما الذي يشغلك أفضل من ذكر الله؟ مع أنَّ هذا الذكر هو الذي ينفِّس عنك كل كربات هذه الحياة؟ وما الذي يشغلك عن مجالس العلم التى تتنزل فيها الرحمات من الله جل فى علاه؟

هذه المجالس يا إخوانى تجعل الإنسان دائماً فى عناية الرحمن .. ويظل إلى أن يلقى الله وقلبه شابٌ لا يهرم ولا يشيخ! لماذا؟ ... لأنه أخذ وصف الجنان .. فإذا كان الجسم سيهرم! فإن القلب لن يهرم أبداً ... لأنه أخذ وصف الجنان ... وسيظل يشتغل بذكر الله ... وبالمناجاة وبالأنس بالله .... وبالدعاء لله ... وبما لا يعدُّ ولا يحدُّ ... بالصلاة والصلات مع حضرة

---

١٢٠ رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس.
١٢١ المستدرك للحاكم عن ابن عباس.

الله .... كيف ولماذا؟ ... لأنه أخذ أوصاف أهل الجنة ... وهو فى هذه الحياة الدنيا ..!!!

حتى الذي يحضر لحاجة يطلبها من أحد الحاضرين، ولم يأت لمشاركتهم فى هذه الطاعات! فإن الملائكة الذين يحضرون معنا بعد أن ينتهوا يذهبون إلى حضرة الله ﷻ فيسألهم أين كنتم؟ ... واسمعوا للحديث الشريف عن أبي هريرة عن رسول اللَّه أنه قال :

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً فُضُلا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَ بِهِمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ – وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ – فَيَقُولُ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: يُكَبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولونَ: لا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ، لَكَانُوا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَكْثَرَ تَسْبِيحاً وَتَحْمِيداً وَتَمْجِيداً. فَيَقُولُ: وَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لا. وَاللَّهِ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ (فيقولون: لو رأوها) كَانُوا عَلَيْهَا أَشَدَّ حِرْصاً وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، فَيَقُولُ: وَمِمَّ يَتَعوَّذُونَ؟ فَيَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا، لَكَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ

فِرَاراً، وَأَشَدَّ هَرَباً وَأَشَدَّ خَوْفاً، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ: إِنَّ فِيهِمْ فُلانَاً لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: فَهُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ»}[١٢٢]

بالله عليكم كيف يترك الإنسان هذه المجالس ويتخلف عنها؟ ... للجرى على الأرزاق!! كيف ذلك والله عند أمر الرزق قال: إياك أن تجرى أو ترمح!: { **يا ابن آدم تركض كركض الوحوش فى البرية ولا تنال منها إلا ما كتب لك** } ..... ماذا نفعل إذاً يا رب كي نحصّل الرزق؟ قال تعالى فى [١٥الملك] :

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا – أى امشوا برويَّةٍ – وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾

وإياك أن تظن أنك تأكل بمهارتك أو بسعيك! وإنما من رزقه ﷻ، ولذلك قال النبي لأصحابه: هل سمعتم الآية؟ قالوا: نعم، قال إذاً: { **اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ . فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا** }[١٢٣]

فلا تحاول يا أخى أن تلف وتدور لكى تُحصِّل الأرزاق ... كأن ترتشي من هنا! أو تخدع من هناك! أو تغشُّ هذا أو تكذب على ذاك! فالرزق لا يسوقه إليك حرصك ولا يمنعك عنه أحد[١٢٤].

كل المسجَّل على بطاقة التموين الخاصة بك من الله! فلن تموت

١٢٢صحيح ابن حبان.

١٢٣ سنن البيهقى الكبرى وابن ماجة عن جابر بن عبدالله.

١٢٤ إقرأوا كتابنا " علاج الرزَّاق لعلل الأرزاق" والذى طبع عدة مرات فهو شفاءٌ فى هذا المضمار.

حتى تحصل عليه من ربِّ البرية فى حياتك الدنيوية!! وعندما تحين لحظة السفر من الدنيا تأتى الملائكة التى معك الموكلة بالأرزاق وتبحث وتقول: { **يا عبدالله بحثنا لك عن لقمة واحدة فى السموات والأراضين فلم نجدها** } كذلك الملك الموكل بالشراب يقول: { **يا عبد الله بحثت لك عن شربة واحدة فى السموات والأراضين فلم أجد** } ثم يأتى آخرهم ملك الهواء فيقول: { **يا عبد الله بحثت لك عن نفس واحد فى السموات والأرضين فلم أجد فاجب داعى الله** ﷻ }.

إذاً علينا فى الرزق أن نسعى ونمشى فحسب! كما أمرنا الله ولا نترك الطريق المستقيم والمنهج القويم ، ونلف وندور!! .. كأهل الكفر وأهل الشرك .. وأهل المعاصى والخسران .. لكى نأخذ ما قدَّره لنا الرحمن ﷻ .... إذاً فإلى أى أمر نجرى يا رب؟ قال:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[١٣٣، آل عمران]

الشيء الذي به أو فيه مغفرة! عليك أن تجرى وتسارع له وفيه، ما هو؟ الصلوات الخمس !. لماذا فرضتها علينا يا رب؟ قال[١٠:إبراهيم]:

﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم ﴾

هذه الطاعة تجرى لها وتسارع ....

وكذلك روضات الجنات إن كانت مجالس الذكر ... أو مجالس القرآن ... أو مجالس العلم .... كل هذا وما على شاكلته ...

وألحق بهذا كل ما ذكرناه آنفاً فى هذا الكتاب من أعمال البِّر مما

أسميناه نوافل المقربين ... كل هذه أسارع لها ... لماذا؟ .. لكي أعيش فى الدنيا .. الحياة التى وعد الله بها المؤمنين والصالحين والتى قال فيها ﷻ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[٩٧النحل]

أى لا بد وأن تكون الدنيا بالنسبة له طيِّبة ... أهذا واضحٌ بينٌ أم لا! ... لابد أن يحيا حياة طيبة؛ لابد !!! وكلُّ من يعيش فى الدنيا حياة غير طيِّبة !! فإنه لم يعمل بهذه الآية!! .. هذا للدنيا ...أما فى الآخرة:

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٩٧النحل]

اللهم اجعلنا من عبادك الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين المطيعين المسارعين إلى طاعتك وعبادتك فى كل وقت وحين، اللهم اجعل القرآن الكريم نور صدورنا وربيع قلوبنا وجلاء حزننا وذهاب همنا وغمنا، واجعل أكبر سعينا إلى مراضيك، ووفقنا فى الدنيا لما تحبه وترضاه، ولا تقطع عنا عنايتك ومعونتك طرفة عين ولا أقل يا الله، ولا تحوجنا إلى شرار خلقك طرفة عين ولا أقل، واجعلنا أغنياء بك سبحانك عن كل من سواك، وارزقنا رزقاً حلالاً طيباً مباركاً لنا فيه يغنينا عن الخلق أجمعين، واجعلنا فى الدنيا من أهل طاعتك، وفى الآخرة من أهل سعادتك، وفى الجنة من أهل جوار أحبتك، وارزقنا شفاعة الحبيب المختار، واجعلنا من أهل جواره مع الصالحين والأبرار.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمّ بحمده تعالى وبركة رسوله ﷺ أسأله ﷻ أن ينفع به المسلمين، وأن يجزى كل من ساعد فى إخراجه للنور بخير وسعادة وسرور فى الدنيا ويوم والنشور.
وصلى الله على أصل كل فضل وخير.

ترجمة المؤلف الأستاذ الشيخ فوزى محمد أبوزيد

۞ الميلاد: ١٩٤٨/١/١٨م، الجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع.

۞ المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٠م.

۞ العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية سابقاً.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام، وله الكثير من التسجيلات الصوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت **WWW.Fawzyabuzeid.com** والذى تم افتتاحه بعد التطوير وأصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت.

۞ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفاته :

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.، ٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى. ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى.، ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : الدين والحياة :

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢. ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم. ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب. ١٠- فتاوى جامعة للشباب. ١١- مفاتح الفرج (٧ط) (ترجم للأندونسية). ١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية). ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام. ١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية). ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (يترجم للأندونيسية). ١٦- المؤمنات القانتات ١٧- فتاوى جامعة للنساء. ١٨- قضايا الشباب المعاصر. ١٩-

زاد الحاج و المعتمر (٢ط)

الخطب الإلهامية: المجلد الأول :(طبعتان مجزأة ومجلد واحد)

٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك. ٢٤- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك. ٢٥- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء. ٢٦- الخطب الإلهامية (المجلد الأول :المناسبات الدينية) ط٢ (كتاب واحد).

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة. ٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء: ج١(٢ط)، والجزء الثانى. ٣١- الكمالات المحمدية ٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول (ترجم للإنجليزية).

رابعا : الطريق إلى الله :

٣٣- أذكار الأبرار. ٣٤- المجاهدة للصفاء و المشاهدة. ٣٥- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٦- رسالة الصالحين. ٣٧- مراقى الصالحين. ٣٨- طريق المحبوبين و أذواقهم. ٣٩-كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤٠- نيل التهانى بالورد القرآنى.٤١- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للإمام القاوقجى (تحقيق).، ٤٢- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية).٤٣- نوافل المقربين

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٤٤- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٥- الصفاء والأصفياء. ٤٦- أبواب القرب و منازل التقريب.، ٤٧- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية). ٤٨- المنهج الصوفى والحياة العصرية. ٤٩- الولاية والأولياء. ٥٠- موازين الصادقين. ٥١- الفتح العرفانى. ٥٢- النفس وصفها وتزكيتها.٥٣- سياحة العارفين.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور

٥٤- مختصر مفاتح الفرج (٣ط). ٥٥- أذكار الأبرار (٢ط). ٥٦- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).(٢ط)، ٥٧- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).٥٨- بشائر المؤمن عند الموت.٥٩ - أسرار العبد الصالح وموسىعليه السلام، ٦٠- مختصر زاد الحاج والمعتمر.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

١ - السراج المنير، ٢- نسمات القرب، ٣- أحسن القول، ٤- منهاج الواصلين، ٤- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢)، ٥- أسرار العبد الصالح وموسىعليه السلام (ط٢).،٦- حقائق التصوف النقيّ.

تطلب جميع المؤلفات من جميع المكتبات الكبرى بالقاهرة والأقاليم، ودور توزيع الأهرام والأخبار ودار الشعب ودار المعارف والهيئة المصرية العامة للكتاب ، كما يمكن تنزيل جميع الكتب من موقع WWW.askzad.com، أو تطلب من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ المعادي، القاهرة ، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠٠

فهرس

المقدمة	٣
الفصل الأول : عبادة المقربين	٩
• فى نورالحديث : { كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقة }.	١٠
• فقه العبادات	٢٣
الفصل الثانى :قربات المقربين	٣٢
• مقامـــات المقربين	٣٣
• قضاء حـــوائج الناس	٤٥
• الإصلاح بين المسلمين	٥١
الفصل الثالث : جهاد المقرَّبين	٥٥
• منازل عباد الرَّحمن	٦٠
• زينـــــــــة المقرَّبين	٦٣
الفصل الرا بع : طريق ولاية الله	٧٠
• سرُّ المحبَّـــــــة	٧١
• سرُّ ولايـــــــة الله	٧٨
الفصل الخامس : روضاتُ الجنَّات فى الدُّنيا	٨٥
• طاعة الله والرسول	٨٧
• روضـــــات الجنَّات	٩٠
• تنزُّل الرحمات والبركات	٩٨
ترجمة المؤلف الشيخ فوزى محمدأبوزيد	١٠٦
قائمة مؤلفاته	١٠٧
فهرســـــــــت	١١٠
مفتاح إختصار أسماء مراجع الحديث الشريف	١١١

مفتاح إختصار أسماء كتب الحديث كما ورد بالجامع الصغير (نقلاً عن كنز العمال):

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (هـ) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

إنتشر الإسلام فى الخافقين ودخل قلوب العالمين بأخلاق المقرَّبين وسعى الأوَّلين لنفع الخلق أجمعين. { من مظاهر إحتفال المسلمين البريطانيين بالعيد فى ميدان ترافلجر (الطرف الأغر- أصل الإسم عربى) **بلندن ببريطانيا }.**

وصلى الله على سيدنا محمد حبيب رب العالمين ورحمته للخلق أجمعين.

كلمة للقراء الكرام من فضيلة المؤلف

الأستاذ/ فوزى محمد أبوزيد

نوافل المقربين

اقتصر كثير من المؤمنين فى تقربهم إلى الله بعد أداء الفرائض على نوافل العبادات من الصلاة والصيام والتلاوة والأذكار وتكرار الحج والعمرة ..

وظنُّوا أنها وحدها تبلِّغهم أرفع الدرجات ! وهذا حقٌّ! ولكنه لمن سلكوا طريق الزاهدين العابدين، وهو سبيلٌ قويمٌ فى الدين، ولكنه ليس السبيل الأقوم! ولا المنهج الأكمل ! ... وإنما المنهاج الأكمل، والطريق الأقوم ما كان عليه محمدٌ ﷺ والذين معه، الذين قاموا بالنوافل العبادية تقرُّباً إلى الله؛ وإكمالاً للفرائض الواجبة، ولكنهم قاموا إلى جانب ذلك بالتقرُّب إلى الله فى خلق الله ..

وذلك بالقيام بالحقوق التى أوجبها عليهم الله نحو الخلق ... أفراداً ومجتمعات بل ومخلوقات .. طلباً لمرضاته تعالى، ولكمال التشبه والتأسي برسول الله وحبيبه ومصطفاه ﷺ.

وقد وسَّع ﷺ هذا الباب العظيم الذى يعمُّ نفعه الشجر والحجر والبلاد والعباد، وكثَّر أبواب النوافل والقربات والخيرات .. حتى جعل كل عمل للعبد ... له أو لأهله أو لمن حوله من إنسان أو حيوان أو جماد، صدقة ... إذا سبقه أو صحبه أو لحقه نيَّةً صالحةً لله ﷻ.

فهذه العبادة الخاصة التى أرسى قواعدها إمام الأنبياء وحرص عليها أصحابه و سارع فيها العلماء والصالحون فى كل زمان ومكان هى "نوافل المقربين" التى نضعها بتوضيحها فى هذا الكتاب ، وذكرنا أبوابها، و نماذج للسلف الصالح فى القيام بها والمحافظة عليها

جعلنا الله تعالى منهم ووفقنا للإقتداء بهم ...

دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادى - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهرة

القائمة الكاملة لمؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبو زيد بداخل الكتاب